مجلة شهرية

Issue No: 127 :عدد

March 2018 شهر آذار

نـــــــــــــور يسوع المسيح المســيـــــح

Φ Ω Σ بالبـ الغـ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

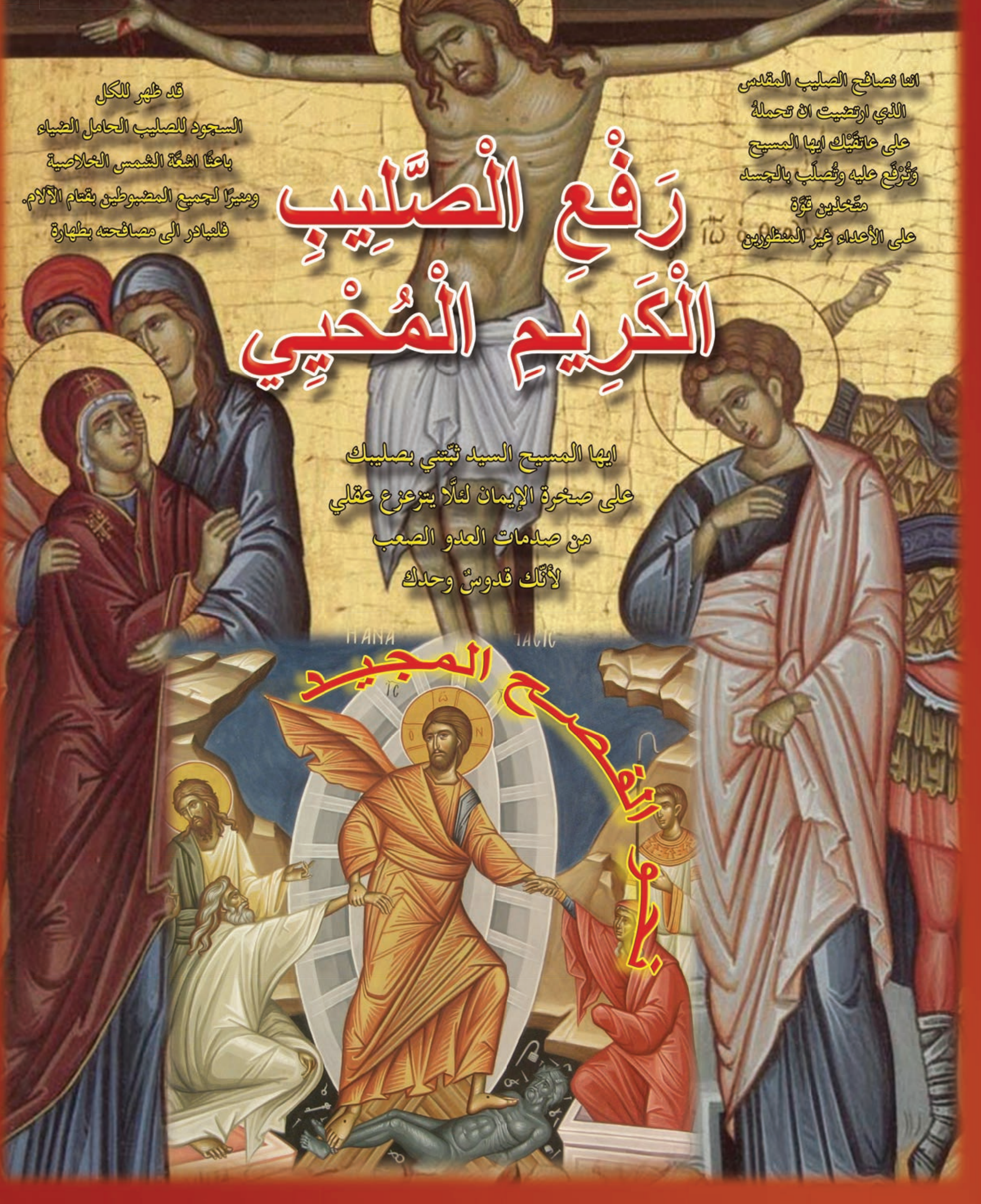

رَفْعِ الصَّلِيبِ الْكَرِيمِ الْمُحْيِي

قد ظهر للكل
السجود للصليب الحامل الضياء
باعثًا اشعَّة الشمس الخلاصية
ومنيرًا لجميع المضبوطين بقتام الآلام.
فلنبادر الى مصافحته بطهارة

انّنا نصافح الصليب المقدس
الذي ارتضيت ان تحملهُ
على عاتقَيْك ايها المسيح
وَتُرْفَع عليه وتُصلَب بالجسد
متّخذين قوَّة
على الأعداء غير المنظورين

ايها المسيح السيد ثبّتني بصليبك
على صخرة الإيمان لئلّا يتزعزع عقلي
من صدمات العدو الصعب
لأنّك قدوسٌ وحدك

بالفصح المجيد

محتويات العدد

2	العجوز ودم المسيح
3	كلمة غبطة البطريك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث
4	النسك في الحياة الرهبانية
5	المسيح المصلوب
6	حبّنا لإخوتنا الفقراء
7	--------
8	--------
9	حِيَلُ الشيطان
10	----------
11	----------
12	أيّلةُ الصُّبح
13	-----------
14	المذبح الحقيقي
15	----------
16	كونوا رجالًا
18	سفر سبت
19	دعوة داود بقيثارته
20	لعازر المسكين
21	جزنا بالنار والماء
22	القديس نكتاريوس
23	الأرثوذكسية قانون إيمان
24	العظات الثماني عشرة عن المعمودية

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

العجوز التي رأت دم المسيح

(العجوز والدم – قصة رمزية)

جاءت حفيدتي الصغيرة من مدارس الأحد بالكنيسة، وهي بَهِجَة فَرِحة. جلست بجواري، وكانت تحبُّني كثيرًا، وأنا كذلك. وقالت الطفلة:

– ”يا جدَّتي العزيزة، لقد علَّمونا اليوم في الكنيسة درسًا جميلًا عن الصليب“.

واستطرَدَتْ تقول:

– ”وجعلونا نحفظ آية تقول: «دَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ.» (١يو ١: ٧)“.

تنهدتُ بحسرة وقلتُ لها في ضعف إيمان:

– ”أنتم الأطفال خطاياكم قليلة، أما أنا العجوز فخطاياي كثيرة لا تُعدُّ“.

قلتُ ذلك لأن الشكَّ كان يملك قلبي وخطاياي كثيرة ومتنوعة. فكم سرقتُ في الميزان من البائعين وأنا شابة! وكم من مشاكل افتعلتُها مع جيراني! وكم من مرة تذمَّرتُ على الله وعلى الظروف. ولم أكتفِ بذلك، بل شربتُ الخمور، ومرة في يأسٍ حاولتُ الانتحار.

تنهدتُ بحسرة مرةً أخرى وأنا أذكر خطاياي كشريطٍ يمرُّ أمام عينيَّ.

وبغتةً سألتني الطفلة: ”ماذا حلَّ بكِ، يا جدَّتي العزيزة“. ولكنني لم أردَّ عليها.

غَفوتُ قليلًا، فرأيتُ منظرًا كأنه رؤيا أو حُلم. رأيتُ نفسي وكأني واقفة على جبلٍ عالٍ في أعلاه **صليب عظيم**، وعليه **الرب يسوع المسيح مصلوبًا**. ورأيتُ ملاكًا بهيًّا واقفًا، وهناك قطرات دم نازلة من جنب المسيح.

ورأيتُ الملاك وقد أمسك بيدي وقادني إلى الجبل العالي الذي في أعلاه **صليب المسيح**.

وهناك رأيتُ قطرات الدم تجمَّعت فصارت جدولًا صغيرًا يتّسع رويدًا رويدًا، حتى صار نهرًا عظيمًا ممتلئًا، ثم تحوَّل النهر إلى مُحيطٍ عظيم لا نهاية له من **دم المسيح**.

أوقفني الملاك، وقال لي: ”هل خطاياكِ كثيرة“. فأجبته: ”نعم“.

واستطرد الملاك قائلًا لي:

– ”خُذي رمالًا من على شاطئ المحيط بقدر خطاياكِ“.

فانحنيتُ وجمعتُ في ثوبي حبَّات من الرمال الكثيرة التي اعتقدتُ أنها قَدْرُ خطاياي.

وأمرني الملاك بطرحها في المحيط. ففعلتُ كما أمرني، فإذا بالرمال تختفي في المحيط نهائيًا.

قال لي الملاك:

– ”أيهما أعظم؟ **خطاياكِ أم دم المسيح**؟ فلا تكوني غير مؤمنة بعد“.

استيقظتُ من نومي، وفاضت الدموع في مُقلتيَّ وأنا أصرخ باكيةً:

– ”سامحني، يا رب، فدمك يُطهِّر من كل خطيئة“.

✝ ✝ ✝ ✝ ✝

✝ «إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ.» (إش ١: ١٨).

✝ «أَنَا أَنَا هُوَ الْمَاحِي ذُنُوبَكَ لأَجْلِ نَفْسِي، وَخَطَايَاكَ لاَ أَذْكُرُهَا» (إش٤٣: ٢٥).

✝ «قَدْ مَحَوْتُ كَغَيْمٍ ذُنُوبَكَ وَكَسَحَابَةٍ خَطَايَاكَ » (إش٤٤: ٢٢).

✝ «مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ، لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ. لإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ.» (رو٣: ٢٤-٢٦).

✝ «الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ بِدَمِهِ، غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعْمَتِهِ» (أف ١: ٧).

✝ «وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ.» (١يو ١: ٧).

✝ «وَمِنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الشَّاهِدِ الأَمِينِ، الْبِكْرِ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَرَئِيسِ مُلُوكِ الأَرْضِ: الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَّلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ،وَجَعَلَنَا مُلُوكًا وَكَهَنَةً للهِ أَبِيهِ» (رؤ ١: ٥،٦).

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم
كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث
بمناسبة عيد القديسين الشهداء الأربعين في سبسطية كباذوكية

«لقد أهملتم الجنديَّة العالميَّة بتاتًا. والتصقتم بالسيّد الذي في السماوات. يا مجاهدي الربِ المغبوطين الأربعين. فإنّكم جُزتم في النار والماء. فنلتم المجدَ ووفرة الأكاليل من السماءِ عن استحقاقٍ.» هذا ما يهتِفُ بهِ مُرنمُ الكنيسة.

أيها الآباء والأخوة الأجلاء،

الإخوة المحبوبون بالرب يسوع المسيح

«هَلُمَّ نُرَنِّمُ لِلرَّبِّ، نَهْتِفُ لِصَخْرَةِ خَلاَصِنا وإلهنا يسوع المسيح» (مز٩٤: ١) الذي أهّلنا للاشتراك في أسرارِهِ السماويةِ الطاهرة غيرَ المائتة، وذلك عند إقامتنا للذبيحة غير الدموية في هيكل كنيسة القيامة إكرامًا لذكرى **القديسين الشهداء الأربعين** والذي من بينهم **القديس الشهيد ثيوفيلوس** المحامي والمدافع عني.

لقد تميَّزَ هؤلاء الشهداء بأعترافهم بفمٍ واحدٍ وقلبٍ واحدٍ بالمسيح المصلوب والناهض من بين الأموات. مُجاهرينَ بإيمانهم أمام مُضْطَهِديهِمْ أي الوثنيين الذين لم يستطيعوا أن يُثْنُوُهُم عن إيمانهم، فحُكِمَ عليهم أنّ يتجرّدوا من ثيابهم، ويُتْرَكُوا في العراءِ ليلًا في صَقِيعِ الشتاء القاسي داخلَ البُحيرة التي كانت تقع على مشارف مدينة سبسطية، حيث استشهدوا من أجل إيمانهم بالرب يسوع المسيح، كما يقول مرنم الكنيسة:«لقد ٱحتسب ٱلشهداء ٱلشُجعان ٱلبُحيرة فردوسًا، والبردَ حَرًّا، أيها المسيح الإله. فلم يرتاعوا ولا تزعزعت أفكارهم من وعيد الحكّام المَرَدة. ولا جُبِنُوا مُحْجِمِين بإزاء صدمات العذابات. بل اتَّخذوا الصليب سلاحًا إلهيًا. فتأيّدوا به وهزموا العدوَّ. فنالوا أكاليل النعمة.»

تُكرِمُ كنيستنا الأرثوذكسيّة المقدسة وتمتدحُ ذكرى هؤلاء الشهداء في زمنِ الصوم الأربعينيّ المبارك، وذلكَ لأنّ هؤلاء الشهداء قد اجتازوا في النار والماء، ودخلوا ملكوت السماوات وتمّ فيهم بالفعل حقًا ما هتف فيه داود النبي في المزامير إذ قال:« دَخَلْنَا فِي النَّارِ وَالْمَاءِ، ثُمَّ أَخْرَجْتَنَا إِلَى الرَّاحة» (مزمور ٦٥: ١٢)

إنّ المبشرين وأصدقاء انجيل المحبة والسلام ونور الحقيقة المُحْيِيَة، الذين هم من الرسل القديسين وجميع المؤمنين بالمسيح من الشهداء والمعلمين والأبرار المتوشحين بالله ورعاة الكنائس، صاروا مشاركين ومساهمين في هذه الخِبرَة.

إنّ حقارتنا تحملُ اسم **الشهيدِ ثيوفيلوس** والذي شارك مع جوق القديسين الشهداء الأربعين شهداء محبة المسيح، لهذا فقد رفعنا المجد والشكر للثالوث القدوس المتساوي في الجوهر المحيي غير المنقسم في هذه الذكرى الروحية المُوَقَّرة، ليس فقط لإعادة ولادتنا في المسيح، بل أيضًا للدعوة المقدسة لهذه المؤسسة والمنصب الروحيّ، والتي هي من جهةٍ الجلوس على **عرش كنيسة أورشليم المقدسة** ومن جهةٍ أخرى **رئيسًا** لطغمة رهبان أخوية القبر المقدس الأَجِلَّاء.

وبين إخوتي المُكرمينَ والموقرينَ رؤساء الكهنة والكهنة والشمامسة والرهبان أعضاء أخوية القبر المقدس الأَجِلَّاء الجزيلي الاحترام، وأيضًا الأخوة الكهنة من الكنائس الأرثوذكسية الأخرى، وكافةِ أبنائنا المسيحيين الأتقياء والزوار الكِرام الذين شَرَّفُوني وكرّمُوْني بحضورهم اليوم ،الأمر الذي يدعوني للشعوُر بمسؤوليةٍ عظيمةٍ أكبر تجاهكم، وتجاه محبتكم لي كما يوصي القديس بولس الرسول قائلًا:«أَطِيعُوا مُرْشِدِيكُمْ وَاخْضَعُوا، لأَنَّهُمْ يَسْهَرُونَ لأَجْلِ نُفُوسِكُمْ كَأَنَّهُمْ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَابًا» (عبر١٣: ١٧)

ويعلِّم **القديس يوحنا الذهبي الفم** قائلًا: ”إنّ إكرامَ الشهداء هو الاقتداءُ بهم“ وهذا يعني أننا نستطيعُ إكرام ذكرى شهداء المسيح القديسين نحنُ المُعيِّدين والمُقيمين تذكارهم المقدس، وذلك بإيماننا الثابت والاقتداء بفضائلِهِم وسِيَرهم في المسيح.

إنّ دماءَ شهداء المسيح الأربعين، والذي من بينهم القديس الشهيد ثيوفيلوس، يدعوننا جميعًا اليوم للبقظة، لئلا ينطفئ ويخبو نور شهادة أبناء نور المسيح، كما يطلب القديس بولس الرسول: «صَلُّوا بِلاَ انْقِطَاعٍ.اشْكُرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ، لأَنَّ هذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ اللهِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ مِنْ جِهَتِكُمْ.لاَ تُطْفِئُوا الرُّوحَ» (١تسالونيكي

٥: ١٧-١٩).

ونقول هذا لأن ظُلمةَ الطغاة ومضطهدي المسيح يظهرونَ مُجدّدًا في عصرنا الحالي بأشكال رهيبة شيطانية تُرهق وترعب البشرية قاطبةً.

ختامًا نتضرع إلى الشهداء القديسين الأربعين بما لهم من الدالَّة لدى الله، لكي بتضرعاتهم وشفاعات سيدتنا الفائقة البركة والدة الإله الدائمة البتولية مريم، نشهدُ في هذا العالم لعمل المسيح الخلاصي الذي أتَمَّه من أجل البشرية جمعاء، ليخلص الجميع من خطياهم بموته وقيامته الظافرة، فهو الفادي والمخلِّص وهو رسول المحبة والسلام والبِرِّ، طالبين من ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح أن يُؤَهِّلِنا أن نعايِنَ قيامة المجيدة.

وكل عام وانتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

النُسك في حياة الرهبنة للقديس باسيليوس الكبير

عن رهبنة صغار السنّ. (تتمة)

سألوا القديس باسيليوس:

ما مقدار القامة (الروحية) التي ينبغي أن ننذر نفوسنا فيها للربّ؟ وفي أي سنّ يأتي إقرار البتولية؟ – فأجاب القديس باسيليوس:

✞ – فاذا أخطأ طفلٌ مع أخيه، يُكلفه بخدمته كمقدار خسارة غضبة، **لأنّ فضيلة «التواضع» تقطع الغضب** من النفس، وتنزعه بتكرار ممارسة الاتضاع (مع المسيء)، بينما **«الكبرياء» تجلب الغضب**.

✞ – واذا أكل أحدهم قبل الوقت (المُحدّد) يُكلَّف ألَّا يذوق شيئًا، حتى يَعْبُرَ الوقت المُتَعَارَفُ عليه. والذي يأكل بسرعة وَبِشَرَهٍ (كثيرًا) يُكلَّف وقت الأكل ألّا يأكل، بل يتطلَّع إلى الذين يأكلون بأدب (بهدوء) ليتأدَّب بتعب ترك الأكل (الجوع) والنظَرَ إلى المتأدبين (المتعلمين النظام).

✞ – واذا قال واحدٌ منهم كلمة بطّالة أو قبيحة أو نطق كذبًا، فَيُؤَدَّب بإمساك البطن (الصوم) واللسان (عدم الكلام أو الصمت فترة طويلة).

✞ – والذين يتعلمون الكتابة، ينبغي أن تُختار لهم نصُوص الكُتب المقدسة، عِوَضًا عن خرافات الفلسفة الخارجية (الوثنية).

✞ – وليتعلّم كل واحد الصناعة (الحرفة) التي تليق به، عندما يقدر أن يتعلَّم. ويُقيموا في النهار عند معلّمهم، وفي الليل يعودون إلى حيث رفقتهم، لينالوا طعامًا (عشاءً) ثم يرقدون في فراشهم.

✞ – وليتعلّموا – منذ صغرهم – ألّا يُشغلوا أفكارهم في اللذَّات، بل يرفعوها (من أذهانهم) ويتدرَّبوا على (قراءة) السيرة المستقيمة (منذ الصغر).

✞ – والمُرتبون (المشرفون عليهم) يتقصون منهم عن أفكارهم، فإنّهم يُظهرون ضمائرهم (قصدهم الحقيقي) لأنّهم بسذاجة صبوتهم (بساطتهم) وقلّة مكرهم، لا يتعمّقون في الحِيَل (الخداع) والكَذب.

✞ – ويَسهُل عليهم أيضًا مفارقتهم للأمر الرديء، لأنّهم يخافون الفضيحة، ولأن الشرّ لم يتمكّن بعد في نفوسهم، لِلِين طباعهم، كالنقش على الشمع، وهو ما يُيَسِّر أيضًا انطباع الأشياء (التعاليم السليمة) في ذواتهم.

✞ – فينبغي أن يتعلَّموا – ما داموا أطفالًا – أنواع الأعمال الصالحة، ليسيروا في الجهاد في الفضيلة دائمًا، وتنمو فيهم، بنموّهم باستمرار وبدون مشقّة كبيرة.

✞ – وبعد ذلك يكون قبول اعتراف بتوليتهم – بشهادة الآباء – بأنهم يحفظون أجسادهم طاهرة، ومن لا يقدر السَّيْرَ في البتولية فليُسَرَّح (من الدير).

✞ – ويجب أن يُترك الوقت لكي يمتحن نفسه أيامًا أخرى، حتى لا يظن أنّنا قد اختطفناه (أكرهناه على التكريس)، وبعد ذلك كله، نقبله مع الأخوة، ليسكن معهم، ويعيش معيشتهم.

المسيح المصلوب

يقول **القديس بولس الرسول** في رسالته الأولى لكنيسة كورنثوس:

✠ «لأَنَّ الْيَهُودَ يَسْأَلُونَ آيَةً، وَالْيُونَانِيِّينَ يَطْلُبُونَ حِكْمَةً، وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً! وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ.لأَنَّ جَهَالَةَ اللهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ اللهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ » (١كو ١: ٢٢-٢٥).

في سَعْينا الروحي كثيرًا ما نواجه مُعوِّقات وعراقيل تَحُول دون استمرارنا في المسيرة الروحية، ويتولَّد في داخلنا إحساس بما قاله داود النبي: « يَا رَبُّ، لِمَاذَا تَقِفُ بَعِيدًا؟ لِمَاذَا تَخْتَفِي فِي أَزْمِنَةِ الضِّيقِ؟» (مز ٩: ٢١).

ربما نحسُّ في هذه الأوقات بأنَّ الله محتجبٌ، بالرغم من أنه موجود، إلَّا أنَّ مقاليد الأمور وكأنها ليست في يده، ربما نستشعر أنه ضعيف، أو أنَّ الشيطان أقوى منَّا، أو لعلَّه لا يأبه بالحال أو أنه لا يرثي لضعفنا. فننتظر رِقَّة فلا نجد، ومُعزِّين فلا نجد، ونتساءل أين وعود الله الذي قال: «فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ، وَمَلاَكُ حَضْرَتِهِ خَلَّصَهُمْ. بِمَحَبَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ هُوَ فَكَّهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَحَمَلَهُمْ كُلَّ الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ.» (إش٦٣: ٩).

يزداد حزننا، وتعلو صرخاتنا، وتتضاعف حيرتنا، وتكثُر أسئلتنا: **أين الله؟ ولِمَ لا يحسُّ بنا؟ ألعلَّه نائم؟ أو هو محتجبٌ عنَّا؟ ربما لا يحسُّ بنا! وإن كان يحسُّ بنا، فلماذا يتركنا؟!**

في الحقيقة، عرفنا بالاختبار أنَّ الله في هذه الأوقات، ليس هو غائبًا، ولا ضعيفًا، ولا نائمًا؛ وإنما هو مصلوب! نعم، فالرب مصلوب!

المسيح مصلوب، وهذه خبرة جديدة لا يُعطيها المسيح إلَّا للذين يسعى لخلاصهم بكلِّ طريقة، للمحبوبين والأخصَّاء.

يسيرٌ جدًا على كلِّ نفس الإيمانُ بالمسيح الخالق والمُهَيمِن على كل قُوَى الطبيعة، مسيح المعجزات والقيامة؛ أما الإيمان بمسيح مصلوب مُقيَّد ومُسمَّر ومطعون، فعسيرٌ جدًا على كلِّ نفس لها منطق العالم وحكمة هذا الدهر؛ إذ كيف يقدر أن يُخلِّص آخرين مَن هو لا يقدر أن يُخلِّص نفسه: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! » (مر١٥: ٣١).

إن الإيمان بالمسيح ابن الله المتجسِّد، يتطلَّب أيضًا الإيمان به مصلوبًا. فإن آمنتَ بمسيح غير قادر أن يُخلِّص نفسه (في نظر الناس)، فلا تطلب منه أن يُعينك على حَمْل الصليب، ولا تتوقَّع ذلك منه.

نَحِّ جانبًا كلمات اللص الذي عن يسار المسيح المصلوب، والذي قال: «إِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمَسِيحَ، فَخَلِّصْ نَفْسَكَ وَإِيَّانَا!» (لو ٢٣: ٣٩)، ذاك الذي كان يفتكر في الأرضيات، وكل همِّه أن ينزل عن الصليب ليأكل ويشرب ويسكر؛ وتمسَّك بقول اللص الآخر الذي آمن قائلًا: «اذْكُرْنِي يَا رَبُّ مَتَى جِئْتَ فِي مَلَكُوتِكَ» (لو ٢٣: ٤٢)، الذي وضع الملكوت نصب عينيه، منتظِرًا مُخلِّصًا هو الرب يسوع المسيح، هذا الذي تمدحه الكنيسة في الساعة التاسعة مُردِّدة:

﴿لمَّا ابصرَ اللّصُّ مبدأ الحياة معلَّقًا على الصليب قال لولا انَّ المصلوب الهٌ متجسّد لمَا اخفت الشمس اشعَّتها. ولا مادت الأرض متزلزلةً. فيا رب يا صابرًا على الكُل اذكرني في ملكوتك﴾.

المسيح نفسه يضطلع بدوره في تزكية الإيمان به مصلوبًا بٱستحقاق صلاته أمام الآب التي تحمل يقين الاستجابة: «وَلكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ.» (لو٢٢: ٣٢).

الإيمان بالمسيح المصلوب يحمل في داخله سرَّ النصرة على الموت، ويطوي بين ثناياه سرَّ الغلبة على العالم.

الإيمان بالمسيح المصلوب يحمل في طيَّاته سرَّ القيامة، ويُخبِّئ في أعماقه سرَّ الخليقة الجديدة.

الإيمان بالمسيح المصلوب مُكرَّمٌ جدًا عند الآب والروح القدس، وهو نَبْعُ تغذيةٍ مستمرٌ للحياة الجديدة.

الإيمان بالمسيح المصلوب، الذي ينتج عن التمسُّك بالله أثناء التجربة، أعلى وأثمن من الإيمان كما نتصوَّره أحيانًا أنه النجاة من التجربة.

الإيمان بالمسيح المصلوب، الذي ينتج عن التمسُّك بالله أثناء المرض، أسمى وأرفع من الإيمان المطلوب للشفاء.

التجربة (أي تجربة يتعرَّض لها أي إنسان)، هي موضع تَحَدٍّ بين مجد الله وبين ضعف إيماننا، ومطلوب على الإنسان أن يُحدِّد لمن تكون النُّصْرةُ؟؟

فالتذمُّر والتَّبطُّر والتبرُّم والشكوى، كل هذا يُرجِّح الكفَّة لحساب تَعَطُّلِ خلاصنا! أما الإيمان والصبر والشكر والفرح والتسبيح، فيعزِّز النصرة والمجد لحساب الله.

✠ يا لَعُمْقِ اتضاع الله الذي يَهَبني الفرصة لأنتصر لحسابه.

✠ بالأمس انتصر هو لحسابي على صليبه؛

✠ واليوم أَنتصِر أنا لحسابه على صليبي!

فلسفة العطاء في المسيحّية

† كثيرًا ما نعاني شدائدَ عسيرة بسبب محبتنا لأصدقائنا وأقربائنا محتملين خسائر جسيمة، وأما لأجل محبة الله فلا نسمح بأقل كمية من الفضة!! فلا نقبل أن نرفض الأمور الزائلة لأجل محبة يسوع الذي قدم نفسه للموت عنا، وسفك دمه الكريم بسببنا نحن عديمي الشكر.

لقد وضع المسيح ذاته للموت عنا، والفقير يموت جوعًا ونحن نرى ذلك لكننا نحوِّل وجوهنا عنه، ونهرب منه وكان الأولى بنا ألَّا نقدم فضة أو مقتنيات لأجل الله، بل لو كان لدينا ربوات من الأنفس لقدمناها له.

يا ليت شعري لو قُدِّمَ احدنا كمجرم لِيُصْلَبَ ويموت أَمَا كان يُقَدِّم كل أمواله لكي ينجو من الموت؟ لنفهم هذا المثال علينا. لأنَّنا إذ كنا نُجذب نحو طريق المجرمين إلى نار جهنم التي لا تطفأ فلنسخَ ولو بنصف مالنا لِنَتَخلَّصَ من العذاب الأبدي.

١- صدق بلا حب.

يتساءل البعض هل يمكن لإنسان مُتَصَدِّقٍ أن يكون غير مُحِبٍّ؟ فيجيب الرسول قائلاً:«وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي، وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئًا.» (١كو ١٣: ٣) وفيما يلي أمثلة لصدقات ليست صادرة عن قلب محب حبًا حقيقيًا.

† لماذا قال الرسول هكذا؟! كيف يمكن لإنسان أن يعطي كل ما لديه لأجل إطعام الفقراء ومع هذا يكون عديم المحبة؟!..

فإما أن يكون الرسول قد افترض فرضًا مستحيلاً كما لو كان يمكن أن يكون كما كتب لأهل غلاطية قائلاً:«وَلكِنْ إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ "أَنَاثِيمَا" » (غل ١: ٨) لقد نطق بهذا رغم استحالة كونه هو أو أي ملاك من السماء يبشرهم بغير ما بشرهم، لكنه يضع الأمر في أقصى احتمال ممكن مُسَلِّمًا حتى بالمستحيل، وبنفس الطريقة كتب في رسالة رومية: «وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ قْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رو٨: ٣٥-٣٩)، فلن يحدث هذا من ملاك من الملائكة لكنه يفترض ما هو مستحيل، فبنفس الطريقة يقول هنا وأن أطعمت كل أموالي ... ولكن ليس لي محبة فلا انتفع شيئًا.

فإما نأخذ بالتفسير السابق، أو التفسير التالي وهو أنه يقصد أن يرتبط المتصدقون بالذين يأخذون الصدقة برباط المحبة وليس بمجرد العطاء الذي بلا محبة، فَيَتَصَدَّقُ الإنسان في عطفٍ وأتضاع حزينًا من أجل المحتاج، فالله يستطيع أن يُطعم الفقير بدون هذه العطايا، لكنه يريدنا أن نتصدق لنرتبط معًا في المحبة، وَلْيَهْتَمَّ كلٌّ منا بالآخر، لذلك طالبنا بإطعامهم.ويقول الرب نفسه: «إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً» (مت٩: ١٣)، (هو٦: ٦) لأن البشر اعتادوا أن يحبوا من ينتفعون منهم، أما الذين يعطونهم فيكونون خاضعين لهم لذلك وضعت هذه الوصية كناموس يربطهم في محبة وصداقة.

† ولكن نقطة البحث هي كيف يؤكد الرسول بان العطاء (والاستشهاد) بدون المحبة ليسا شيئًا، بعد ما تكلم السيد المسيح عنهما أنهما طريق الكمال؟!

حاشا للرسول بولس أن يناقض السيد المسيح إنما يتفق معه تمامًا لأنه في حالة الشاب الغني، لم يكتف الرب بالقول بع كل ما لك وَوَزِّعْهُ على الفقراء، بل قال: تعال اتبعني غير أنه لا يقصد مجرد التبعية للسيد المسيح بل محبته للآخرين هي الدليل على صحة تَبَعِيَّتِهِ وَتَلْمَذَتِهِ كقول السيد: «بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ» (يو١٣: ٣٥).

٢– صداقة لأجل الناس لا عن حبٍّ.

† أتريدون السلوك كأولئك الذين يحبون الرحمة والصدقة، فأنني أراكم تريدون ذلك وأنا أُسَرُّ بهذا، فإذا ما رأيتُ الصَّدَقَةَ قد فَسُدَتْ تألمتُ جدًا لأنني أرى السُّبح الباطل يغتالها كما تغتال المربية إحدى بنات الملوك، وتفسد أخلاقها فتجعلها تتجاسر بالثورة ضد أبيها، وتحسن لها التهاون به والتزين لأجل إرضاء رجال ربما كانوا أشرارًا يستحقون البصق في وجوهم، فتلبسها الثياب السمجة التي يستحسنها الغريب ويستقبحها والدها.

† الصَّدَقَةُ في هذا المثال هي ابنه الملك والملك هو الله وحب الظهور والرياء هما المربية الشريرة، والأجانب الذي تتزين لهم حسب رغبتهم لا كما يريد الملك هم الذين تَتَصَدَّقُ أمامهم لأجل تمجيدك.

فالملك (السيد المسيح) يأمر بعدم ظهورها للأقرباء الذين مثل اليد الشمال **والمربية** التي هي **الكبرياء** التي تطالبنا بإظهارها. أما العبيد والغرباء فتظهر تارة حسنة وأخرى مستقبحه، وذلك كٱبْنَةِ ٱلملك التي أغوتها المربية عندما تخرج من قصر أبيها إلى الطرقات متهتكة غير محتشمة، وهذا الحال غير اللائق يستقبحه الناس ويستهزئونه، لأن أغلبهم يبغضون من يطلبون شرفًا عاليًا، إذ ينظرون عيوبهم ويرذلوهم فبقدر ما تطلب من الناس مجدًا يعرضون عنك ويستخفون بك.

يا له من **لصٍ بديع (حب الظهور)** فهو يبدِّد وينهب حيث لا يستطيع **الســوس** أنْ يُفسد ولا **اللص** أن يسرق!!

هذا هو سارق الغِنَىَ الذي لا يمكن سلبه، لهذا يستخدمه الشيطان فخًا يصطاد به دائما كل جنسٍ .... لماذا لا تكتفي بالمجد الذي يعطيه لك الله تعالى حتى تطلب مجد الآخرين؟!

† تأمل كيف ابتدأ الرب يخاطب سامعيه محذرًا إياهم من **أصعب الوحوش فتكًا (حب الظهور)** إذ قال: «اِحْتَرِزُوا مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا صَدَقَتَكُمْ قُدَّامَ النَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ، وَإِلاَّ فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ.» (متى ٦: ٢).

قد يوجد من يُقَدِّم صَدَقَتَهُ قدام الناس، لكنه يتحاشى التظاهر بها ويوجد أيضًا من لا يُقدِّمها قدام الناس، لكنه يتباهى بها سرًا، فالله لا يجازي عن الصدقة بحسب صنعها إن كانت أمام الناس أم لا بل بحسب نية فاعلها.

† إن كنتَ تشتهي أن يكون لك أناسٌ ينظرون صدقتك فإنه لن يُعدمك هذه الشهوة في الوقت المناسب بل يُشبع لك هذه الشهوة بزيادة كثيرة، لأنك إن أظهرت الآن ما تعمله قد يراك عشرة أو عشرون أو مائة فقط أما إن ٱجتهدت أن تخفي عملك الآن فإن الله يشيد به، ويذكرك في حضرة أهل المسكونة كلها، فالآن يلومك الناس (لأنهم لا يرون صدقتك) لكن عندما يبصرونك مكلَّلاً، ما يَكُفُّونَ عن اللوم فقط بل يتعجبون منك تعجبًا عظيمًا.

† إن أردت أن تظهر أعمالك فأظهرها لأبيك قبل كل الناس ولاسيما إن كان أبوك ربًا.....

† فلا تفسد إذًا ثمار أتعابك ولا تدع عرقك يذهب سدى ولا تجعل أشواطك التي قطعتها عقيمة وعناءك الماضي بغير جدوى، لأن السيد يعرف أعمالك الحسنة أكثر منك، فلا يُضَيِّع أجرك ولو لم تُعْطِ سوى كأس ماء بارد إنه يقبل برضًى تام كل شيء ويذكر كل شيء وَيُجْزِلُ لك الثواب ولو لم تُلْقِ غير فِلْسٍ أو لم تسكب سوى دمعه واحدة، فلماذا تهتم بأَعمالك ولا تزال تبسطها أمام أعيُننا. ألا تعلم أنك إن مدحت نفسك لا يمدحك الله، في حين أنك لو عرفت مسكنتك لما كفَّ هو عن إعلانك أمام العا لم أجمع، لأنه لا يريد أن يُقِلَّ من قَدْرِ أتعابك، ولماذا أقول يُقِلَّ في حال انه يلجأ إلى كل وسيلة لتكلَّل عن كل صغيرة مجتهدًا بأنْ يرى لك سببًا ليقيك نار جهنم.

† إذا ٱتفق أن تَصَدَّقْنَا على فقيرٍ بشيءٍ زهيدٍ نُطَبِّل له ونزمِّر وهذا ما ينال من كرامة عقلنا، ويهدم الخير الذي نكون أصبناه، والحقيقة إن آمن وسيلة لحفظ كنز الأعمال الحسنة هو نسيانها، فكما أننا إذا بسطنا ثيابنا الفاخرة في السوق العام نعرضها للمكايد والأخطار بخلاف ما لو أخفيناها في بيتنا فأننا نحفظها في مأمن من اللصوص. كذلك حال أعمالنا الحسنة فأننا إن لم نكفّ عن ترديدها في خاطرنا نثير غضب السيد، وَنُسَلِّحُ عدونا ونستدعي السارق. أما إذا لم يدرِ بها أحدٌ اللهم إلَّا ذاك الذي يجب أن يعلم بها وحده. فلا سبيل إلى الخوف عليها فلا تردِّدها إذًا على هذا النحو، لئلا يسرقها أحدٌ وَلِئَلَّا يصيبك ما أصاب الفريسي الذي كان يردِّدها على لسانه حتى سلبه إياها الشيطان، ولو انه كان يذكرها بالشكر ويعيد كل شيء لفضل الله، لكن ذلك لم يُكْفِهِ لأن الشكر لا يكون بإهانة القريب وتمجيد الذات.

† إن كان قايين الذي قَدَّم أفضل ما لديه لم يقبله الله مع أنه كان من تَعَبِهِ... فكيف لا يصيبنا شَرٌّ أعظم مما أصاب قايين إن قدمنا له قداسات وقرابين من مالٍ نِلْنَاهُ ظُلْمًا من الآخرين، لماذا تسب الرب بتقديمك له قرابين وهدايا نجسه ؟!.... فَٱلْأَوْلَى بك ألَّا تُعَرِّيَ أُناسًا لِتُكْسِيَ آخرين. أفلست تظلم من عَرَّيْتَهُم ؟! فإنك إن ظلمتهم ولو أعطيت ما أخذته منهم لتعطيه للغير **فليس هذا رحمة**.

† إذا ٱختطفت أموالًا وأعطيتها للغير ولم تَرُدَّهَا لمن ظلمتهم بل لغيرهم فما هو عذرك؟! أتريد أن تعلم مقدار ما تصنعه من الشر اسمع ما يقوله سليمان: «أن الذي يُقَرِّبُ ذبيحة من أموال الفقراء كمن يقتل أمام الأب ابنه.».

† اكفف يديك عن الطمع واضبطها عن الظلم وحينئذ اصنع الرحمة لأننا إذا سلبنا الفقراء بأيدينا وكسونا الآخرين بما سلبناه فكيف نهرب من العقاب الأبدي؟! لأن هذه القضية تصير سببًا لكل خطيئة

ورذيلة، فالرحمة التي تفعلها من هذا النوع كان الأَوْلَى بك ألّا تفعلها.

٣- الصدقة تحرر من عبودية المال.

في مفهوم الصَّدَقةِ السابق رأيناها حُبًّا ليسوع، لأن الحب يلزمه بَذْلٌ فيسوع أحبنا حتى اهلك جسده (سمح بموته) عنا على الصليب، ونحن إذ نحبّه نرغب في أهلاك الجسد وشهواته من أجل محبوبنا، فنبذل كل ما في أستطاعتنا من صَدَقةٍ وَصَوْمٍ مع نيّة تقديم وبذل الجسد كله من أجله.

أما في هذا المفهوم أقول أنه إن كانت الصدقة من الناحية الإيجابية هي انفعال القلب بكامله بيسوع فمن الناحية السلبية هي تحريرٌ له من سلطان المال وعبوديته، هي إعلان عن ملئه بمن أحبه وتفريغه عمن قيَّده بسلطانه، أي العالم وشهواته ومقتنياته.

الصدقة في حقيقتها هي رفع القلب عن الأرضيات نحو السماويات.

† حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك.

إن الملتجئ إلى الممتلكات السفلية يقاسي ضررًا بليغًا لأنه يصير عبدًا بدلًا من أن يكون حُرًّا، إنه يكون **ككلب مربوط في خندق مشدود بسلسلة محبة الاموال** وهي من أشدّ السلاسل ينبح على جميع الذين يقتربون نحوه، عمله فقط هو أن يحفظ ما هو مخزون لديه ويصونه لغيره.

لقد صرتَ أعمى بشهوتك الخبيثة، فكما تضل مقتنصًا من سيدة غاصبة (**محبة المال**) فَتُرْبَطَ من كل جانب، وتقيم في الظلام وتمتلئ رعبًا، وترسل الأموال إلى الموضع الذي تبقي فيه محفوظة حيث يتعذر سلبها لأن عملنا هذا ليس عمل من يشتهي الأموال، بل من يشتهي العبودية والأذى والخسارة والألم دائمًا.

† «فَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يَتَأَلَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَتَأَلَّمُ مَعَهُ. وَإِنْ كَانَ عُضْوٌ وَاحِدٌ يُكَرَّمُ، فَجَمِيعُ الأَعْضَاءِ تَفْرَحُ مَعَهُ.» (١ كو ١٢: ٢٦) لقد طالبنا الرسول بثلاثة أمور هي الاتحاد العام وعدم الانقسام والاهتمام بالآخرين، أي أن نضع في اعتبارنا أن كل ما يحدث للعضو إنما يحدث للمجموع.

وسبق أن قال لكن الله: «مزج الجسد معطيًا الناقص كرامة أفضل» (١كو١٢: ٢٤) لأنه يحتاج إلى هذه الكرامة مُوَضِّحًا بان الأقل يحتاج إلى كرامة أعظم وبذلك تتساوي جميع الأعضاء في الاهتمام الطبيعي بعضها بالبعض الآخر.

وليس فقط من هذه الناحية بل وكل ما يحدث لها سواء أكان حلوًا أو مُرًّا، إنما يرتبط به الجميع، فإذا ما دخلت شوكة في عقب القدم يشعر بها الجسد كله ويهتم بها، فالظهر ينحني، والبطن والفخذان يلتصقان وتخرج اليد كما لو كانت حارسًا وخادمًا لتنزع ما بداخل القدم، والرأس يهتم بالأمر والعينان تنظران إليها بكل اهتمام فمع أن القدم لها مركز أقل مما للرأس لعدم قدرتها على الارتفاع كالرأس لكن بانحناء الرأس لها لإخراج الشوكة صارت مساوية للرأس، ونال نفس كرامتها خاصة أن انحناء الرأس بسبب القدم ليس عن فضل منها بل اضطرارًا.

† أيها الإخوة إن إلهنا محب البشر يشاء ويرغب جدًا في محبة الناس أجمعين بصداقة خالصة وإيمان ثابت غير متزعزع، لهذا وضع بِحُسْنِ أحكامه وتدبيره أن تكون جميع الصناعات والمهن الكائنة في العالم تحتاج كلٌّ منها للأخرى، فالفلاح لا يقنع ببذر حنطة على قدر كفافه وحده، والجنود لا يكفيهم أن يحافظوا على أنفسهم فقط أثناء الحرب، والتاجر الذي يجوب البلاد برًا وبحرًا لا يأتي ببضاعة تكفيه وحده فقط. جلبب الله تعالى العالم بالمحبة بأمر مستغرب لأن من شأن المحبة أن تجعل الإنسان لا يهيئ ما يحتاجه فقط، بل ما يحتاج إليه الغير. فلو لم توجد هذه المحبة لما خَلُصَ إنسان جسديًا أو روحيًا.

† الأشياء كلّها لله، فعندما يوصينا أن يأخذ منا، لا نهرب من وصيته كالعبيد الخائنين، فنسرق الأشياء التي لسيدنا فإن كانت نفسك ليست مُلكا لك، فكيف تكون الأموال ملكك؟! كيف تنفق ما هو ليس ملكك فيما لا يجوز الإنفاق فيه؟! أما تعلم أننا عتيدون أن نحاسب على استخدامها الرديء؟! لذلك يجب علينا أن ننفقها على شركائنا في العبودية لأنها مُلك السيِّد وليست مِلْكَنَا....

لا تقل إذن إنني انفق من أموالي ومن أموالي أعول الآخرين فأنها ليست أموالك بل هي أموال غيرك.

كما أن الشمس مشاعة كذلك الهواء والأرض وباقي الأشياء كذلك بالنسبة للجسد. كل فعل أو نفع يعود علة الجسد كله ويخدم كافة الأعضاء، فإن عاد النفع على عضو واحد فقط، كان هذا العضو غريبًا عن الجسد، هكذا بالنسبة للأموال فالقوت الخاص بالجسد الذي ينتفع منه سائر الأعضاء لو أُعْطِيَ لعضوٍ واحد فقط لصار العضو زائدًا، لأنه إن لم يستطيع أن يرسله إلى بقية الأعضاء يكون اجنبيًا وأمّا إذا صار مَشَاعًا فإنه ينتفع هو وكل الأعضاء به، هكذا إن شئت التمتع بالأموال وحدك تعدمها لأنك ما تستثمر ثوابها، وأما إن اقتنيتها مع الآخرين فحينئذ تكون لك وبذلك تنتفع منها. ألا ترى أن اليدين تخدمان والفم يذوق الطعام والبطن يتقبله، فهل تقول البطن ما دمت قبلت الطعام فيجب عَلَيَّ أن أستولي عليه ؟! كلّا هكذا ولا أنت بخصوص الأموال تقدر أن تقول هذا بل أعط مِنَ الذي تناله، فكما أن البطن الرديء إذا حجز الغذاء ولم يوزعه يتلف الجسد كله، هكذا الأغنياء الأردياء حَجْزِهِم لما يمتلكونه لذواتهم يهلكهم وغيرهم.

والعين تقبل النور كلّه إلا أنها ليست بسبب هذا تحجبه لذاتها لكنها تنير الجسد كله، لأن ليس من طبيعته أن يستنير إلّا بوجود العين.

والرِّجْلَانِ تمشيان أيضًا لكنهما لا تحملان ذاتيهما فقط بل تنقلان الجسد كله، هكذا إِفْعَلْ في كل ما تقتنيه فلا تستحوذ عليه بمفردك لأنه بتوزيعك له على الكل تُغني نفسك قبل الغير.

وهذا الأمر لا يحدث في أمر الأعضاء فقط، بل وفي الصناعات الأخرى لأنه إن أراد أحد أن يستحوذ على الصناعة لنفسه يهلك ذاته ومعيشته كلها. فالفلاح إن حجز البذار في داره يحدث جوعًا عظيمًا هكذا الغني إذا فعل ذلك في الأموال يُهلك ذاته قبل أن يهلك المحتاجين جامعًا على رأسه لهيب جهنم. ■

حِيَل الشيطان المُجَرِّب

للأب متى المسكين

«أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَكَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوماً يُجَرَّبُ مِنْ إِبْلِيسَ. وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا فِي تِلْكَ الأَيَّامِ. وَلَمَّا تَمَّتْ جَاعَ أَخِيرًا. وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: ''إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ لِهذَا الْحَجَرِ أَنْ يَصِيرَ خُبْزًا''. فَأَجَابَهُ يَسُوعُ قَائِلاً: ''مَكْتُوبٌ أَنْ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ مِنَ اللهِ''. ثُمَّ أَصْعَدَهُ إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْمَسْكُونَةِ فِي لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَانِ. وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: ''لَكَ أُعْطِي هَذَا السُّلْطَانَ كُلَّهُ وَمَجْدَهُنَّ لأَنَّهُ إِلَيَّ قَدْ دُفِعَ وَأَنَا أُعْطِيهِ لِمَنْ أُرِيدُ. فَإِنْ سَجَدْتَ أَمَامِي يَكُونُ لَكَ الْجَمِيعُ''. فَأَجَابَهُ يَسُوعُ وَقَالَ: ''اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! إِنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ''. ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ وَأَقَامَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: ''إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ مِنْ هُنَا إِلَى أَسْفَلَ لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ وَأَنَّهُمْ عَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ''. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: ''إِنَّهُ قِيلَ: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ''. وَلَمَّا أَكْمَلَ إِبْلِيسُ كُلَّ تَجْرِبَةٍ فَارَقَهُ إِلَى حِينٍ» (لو ٤: ١-١٣).

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين

إنجيل اليوم هو إنجيل الموسم كله، **موسم الأربعين المقدَّسة**، إنه قلب الصوم. أما معياره: فهو الملء من الروح، يسنده النُّسك، أربعين يومًا صومًا:

فالنُّسك لابد أن يتزكَّى بالتجارب،

فلا امتلاء بدون صوم،

ولا صوم بدون تجارب،

ولا تجارب بدون نصرة.

هذا هو المفهوم العام لإنجيل اليوم.

وإنجيل القديس لوقا يُسجِّل هذه الوقائع، تمامًا مثل إنجيل القديس متى. وينسجم إنجيل القديس متى مع السرد الطبيعي للتجارب، خصوصًا أنه يُسجِّل أنَّ التجربة الثالثة (بحسب إنجيل القديس متى، والثانية بحسب إنجيل القديس لوقا) تنتهي بانتهار المسيح للشيطان: «اذهب يا شيطان... ثم تركه إبليس» (مت ٤: ١٠، ١١).

الأربعون المقدسة:

✠ هذا الرقم سرِّي، لأننا رأيناه عند **موسى النبي**، إذ بعد صيام أربعين يومًا، تراءى له الله على جبل حوريب، وتكلَّم معه، وأعطاه الوصايا، وتكرَّر ذلك مرة أخرى بعد كَسْر لوحَي الحجر (خر ٢٤: ١٨؛ ٣٤: ٢٨).

✠ ثم نقرأ عن **إيليا النبي**، حينما أراد أن يلتقي مع الله على نفس الجبل، صام أربعين يومًا قبل أن يأتي الله من خلال الصوت المنخفض الخفيف ليؤنِّبه: «مَا لَكَ ههُنَا يَا إِيلِيَّا؟» (ملوك أول ١٩: ١٢، ١٣).

✠ والأربعون هذه كانت هي عدد السنين في تيه شعب إسرائيل في البريَّة والرب يقودهم (تث ٢: ٧؛ ٨: ٢).

✠ كذلك الأربعون يومًا كان يظهر فيها المسيح بعد قيامته لتلاميذه، ويكلِّمهم عن الأمور المختصَّة بملكوت الله (أع ١: ٣).

✠ ثم هذه الأربعون يومًا التي صامها المسيح (مر ١: ١٣؛ لو ٤: ٢؛ مت ٤: ٢).

وقد تسلَّمت الكنيسة هذا الطقس السرِّي المجيد وجعلته موسمها السنوي، لتتقابل فيه مع الله على جبل حوريب أو في السحابة، تتحدث معه وتسبِّحه، وهي في صيامها العفيف الذي يتناسب مع نُسكها؛ صومًا: إما إلى ساعة الظهر، أو إلى ساعة الغروب. إنما المسيح صامه الليل والنهار على مدى أربعين يومًا بلا أَكْل ولا شُرْب، لذلك تُسمِّيه الكنيسة في تسبحتها: ''صومًا بسرٍّ لا يُنطَقُ به''.

ولنتأمَّل الآن في هذه التجارب الثلاث:

التجربة الأولى:

انتبهوا دائمًا لأعمال الشيطان! ولأن المسيح لم يُشِر إلى حادثة صومه وتجربته ولم يُعلِّق عليها بكلمة في الإنجيل، فصار لِزَامًا علينا أن نتأمَّلها ونتعمَّقها لنرى ما اللاَّزم اتِّباعه.

أما عناصرها الشيطانية الخطيرة فهي:

✠ **التشكيك**: **«إن كنتَ (أنت) ابن الله»**. هنا يُحاول الشيطان أن يُشكِّك المسيح كما شكَّك حواء عندما قال لها: «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟»، غشٌّ وخداعٌ وتشكيكٌ. وهكذا تمامًا قال للمسيح وهو جائع: «إن كنتَ (أنت) ابن الله...»، وهنا يهمنا في كل تجربة أن نرى عنصر المناسبة، إذ تركه حتى جاع.

ولكن اسمحوا لي أن أقول الأصحَّ: إنَّ المسيح جاع لكي يبتدئ الشيطان ويُجرِّب! بل ترك له الحجارة بشكلها المنفوخ والصغير كأنه

بشكل الخبزة بالضبط، لأن الشيطان يهتم أن يجعل الأمور بهجة للعين، تمامًا كما عمل مع حواء، إذ جعل الشجرة في نظرها «جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ» (تك ٣: ٦)؛ هكذا جعل الحجر بهذا الشكل، وهذا هو عنصر المناسبة. ولكن السهم المسموم ليس من السهل أبدًا اكتشاف أين سيستقر!

لذلك مَن يتأمَّلْ بعمقٍ، يستطعْ أن يُدرك غاية الشيطان، إذ قال للمسيح: «»إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ، فَقُلْ لِهذَا الْحَجَرِ أَنْ يَصِيرَ خُبْزًا»». حقًا، إنه عمل ليس صعبًا على المسيح. لم يَقُل له أن يصنع ما هو أصعب: أَلَمْ يُنزل لليهود مَنًّا من السماء؟ أَوَ لَمْ يجعل الصخرة تُفجِّر مياهًا؟ ولكن، إلى أين يريد الشيطان أن يوصِّل سهمه؟ **إنَّ السهم موجَّه إلى وصايا الله.**

وما هي وصية الله هنا؟ بعد أن أخطأ آدم وأكل من الشجرة التي حَرَّمَ عليه الأكل منها، طرده الله وقال له: «مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ. وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ. بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا ». فالشيطان كأنه يريد أن يُثني المسيح عن وصية الله، وفي هذه الحالة يكون الشيطان قد نجح في جَعْل المسيح ينقض وصايا الله. وبعد ذلك يكون للشيطان حقُّ الاعتراض على كلام الله!

أما المسيح - له المجد - فقد انتبه لهذه الحيلة، وتجاوز السهم الشيطاني كُلِّيَّة، وردَّ عليه: «لَيسَ بِالْخُبزِ وَحدَه يَحيَا الإِنْسَان» - ذلك لأن المسيح هو نفسه رب الحياة - ولكن «بل بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِن فَمِ الله». وكأن المسيح يقول للشيطان: أنت جاهل ولا تُدرك أنَّ للإنسان حياتين: حياة بالجسد، وهذه لها الخبز؛ وحياة بالروح، وهذه لها كلام الله. وحياة الروح هي الأقوى والأسمى. وإذا عُرِض علينا أن نُضحِّي، فبالجسد وبخبز الجسد، ولا نُضحِّي إطلاقًا بالروح وبخبز الروح.

✠ « بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ»، لماذا؟ لأن كلمة الله قادرة أن تُحيي من الموت: «شَاءَ فَوَلَدَنَا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لِكَيْ نَكُونَ بَاكُورَةً مِنْ خَلاَئِقِهِ.» (يع ١: ١٨).

ردُّ المسيح:

✠ **«مكتوب»**، ذلك ليُنبِّه ذهننا أنْ لا سلاح إطلاقًا ضد الشيطان إلَّا بهذه الكلمة: «مكتوب». إذ لا يمكن أن تغلب الشيطان إلَّا بكلمة الله، لا بالنُّسك، ولا بالجوع، ولا بتقطيع الجسد؛ لكن بكلمة الله، سيف الروح البتَّار الذي يستطيع أن يُنهي على كل تجربة آتية من جهة العدو.

ولو رجعنا إلى كلام المسيح لوجدنا أن هذه الكلمة ليست غريبة عن كلامه: «»لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ تَهْتَمُّوا لِحَيَاتِكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَبِمَا تَشْرَبُونَ، وَلاَ لأَجْسَادِكُمْ بِمَا تَلْبَسُونَ. أَلَيْسَتِ الْحَيَاةُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ، وَالْجَسَدُ أَفْضَلَ مِنَ اللِّبَاسِ؟» (لو ١٢: ٢٣؛ مت ٦: ٢٥). وفي موضع آخر: «اِعْمَلُوا لاَ لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ، بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمُ ابْنُ الإِنْسَانِ» (يو ٦: ٢٧).

ويسترعي انتباهنا في ردِّ المسيح قوله: «لَيسَ بِالْخُبزِ وَحدَه يَحيَا الإِنْسَان». فهنا يتكلَّم المسيح وهو ابن الله، إذ سأله الشيطان: «إن كنتَ (أنت) ابن الله»، ولكنه يتكلَّم كإنسان فيُعطينا النموذج الأمثل لكل إنسان في ردِّهِ على الشيطان. والمسيح بهذا الردِّ صحَّح الخطأ الذي وقع فيه آدم وحواء، إذ سمعا لمشورة الشيطان وأكلا من الشجرة التي لمسها بيديه وحسَّنها في نظرهما بقدرته الخفية الخبيثة. وألغى المسيح قدرة الشيطان هذه جملةً وتفصيلًا.

الدرس المُستفاد من التجربة الأولى:

✠ **أكذوبة الجوع** التي يقولون عنها في المَثَل الدارج: ''**الجوع كافر**''، هي من الشيطان فهي كلمة الشيطان، إذ يُعطي فرصة للجائع أن يسلك سلوك الخَطأَةِ فيسرق وينهب، فيقول له: ''**الجوع كافر**''. هذه هي مشورة الشيطان التي تتناقل على الأفواه والأقلام من جيل إلى جيل، وهي **خطيئة**.

✠ **تجربة الشهوة، شهوة الأكل**، هي أول سلاح - كما يقول بستان الرهبان - إنها أول ضربة لآدم، ضَرَبَهُ بها وأوقعه. وهو نفس السلاح الذي انتزعه المسيح من الشيطان وردَّه عليه، وأرداه صريعًا.

إذا نجح الإنسان في أن يمسك بطنه وقت الجوع والصوم ويغلب، فسيغلب التجارب التي تأتي بعد ذلك، كما غلبها المسيح.

التجربة الثانية (وهي الثالثة بحسب إنجيل القديس لوقا):

✠ **عناصرها الشيطانية**: ''إن كنتَ أنت قد رفضتَ الأكل، فلا داعي لتحويل الحجارة إلى خبز، والصوم جميل وفضيلة، ولابد أنك صائم ليس عن نفسك بل عن الشعب، فهذا عمل رئيس الكهنة. فإن كنتَ أنت على هذا المستوى من العظمة، فأظْهِر عظمتك للناس''. أَلَمْ يقُل له إخوته هذا: «انْتَقِلْ مِنْ هُنَا وَاذْهَبْ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، لِكَيْ يَرَى تَلاَمِيذُكَ أَيْضًا أَعْمَالَكَ الَّتِي تَعْمَلُ» (يو ٧: ٣)، وهكذا دعاه الشيطان أن يذهب إلى الهيكل حيث إنه صائم عن الشعب، وهذا أحد أعمال رئاسة الكهنوت، وأن يُلقي بنفسه من أعلى الهيكل لينزل بمجدٍ عظيم وفخر، ''فيؤمن الشعب بك أنك أنت المسيَّا، فأنت ابن الله، وأليس مكتوبًا: «أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ، وَأَنَّهُمْ عَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ» (انظر مز ٩٠: ١١،١٢) (إنجيل لوقا ٤: ١١).

وهنا الشيطان قَلَبَ المعنى: فالملائكة لا تكون في عَوْن الذين يطيرون في الهواء لينالوا المجد والكرامة؛ بل الذين يسيرون على أرض الشقاء، أرض الضيق والتعب والمرارة، أرض الحزن، أرض العثرات، أرض المرارات التي يضعها الشيطان في طريقنا لكي يعرقل مسيرتنا.

ردُّ المسيح:

✠ «مَكْتُوبٌ أَيْضًا: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ».

مضمون الآية كشفه المسيح: «لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ»، أي أنَّ الشيطان يُريد من المسيح أن يُجرِّب الله ليرى هل الله معه أم لا؟ ليرى هل هو ابن الله أم لا؟ ليعرف هل هو رئيس كهنة بالحقيقة أم لا؟

هذه الآية تأتي لنا في التعليم حتى لا نستخدم المكتوب لكي نُنفِّذ

شهوات قلوبنا وأفكارنا، كمَن يفتح الإنجيل عشوائيًا ويقول: ”قرأتُ الإنجيل وصلَّيتُ ووجدتُ أنه يجب عليَّ أن أفعل هذا الأمر“، وهو يتمحَّك في الآية التي تَظهر له لكي يعمل ما يشتهيه. هذا هو اختبار الله، فلن تجد معونة، بل بالعكس سوف يُحسَب عليك هذا أنه تجربة لله، والذي يُجرِّب الله لا ينجح.

التجربة الثالثة (وهي الثانية بحسب إنجيل القديس لوقا):

✠ **العناصر الشيطانية فيها**، أنَّ الشيطان منذ البدء يكشف نفسه أنه هو الضدُّ والمقاوِم لله والمدَّعي الألوهة: «**اسجد لي**». ما هذا؟ مَن أنت؟ وكأنه يردُّ: ”**مجرَّد أن تسجد لي**“. وهنا يُخفي الشيطان في طرح هذه المشورة نوع شخصيته ونوع طموحه.

فبعد أن لاقَى الشيطان هزيمتين متتاليتين، دبَّر نفسه بخبث ودهاء عظيمَيْن، وكأنه قال في نفسه: إن كل ما لي أطرحه أمامه وأَرْبَحه لنفسي. فقال: ”إنني أخذتُ من الله رئاسة العالم، أنا رئيس هذا العالم (وقد قال المسيح هذا: «لأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ.» - يو ١٤: ٣٠)، أخذتُ هذه الممالك، وبكل مجدها أُعطِيَتْ لي، وأنا أُعطيها لِمَن أشاء“.

في الحقيقة، هنا يوجد غش، فهذه الممالك لم تُعطَ له لكي يُدبِّرها، بل أُعطِيَتْ له من واقع التجارب التي يوقِع بها الناس، فالذي يغلبه الشيطان يتزكَّى فيها ومنها (أي ممالك المسكونة ومجدها). فهو أُعطِيَ الرئاسة على العالم، أي عالم الشر، وعلى إنسان الشر والخطيئة؛ ليس العالم ككل - أخيارًا وأشرارًا - إذ أنه يستحيل عليه هزيمة الأخيار بالتجربة. فالمؤمن يقول له: ”عندي قوة أكبر منك، لأني أنا مُتمسِّكٌ بالله“.

✠ هزيمتان أجبرتا الشيطان أن يطرح كل ما عنده: ”كل سلطاني أُعطيه لك، والمجد الذي لي أُعطيه لك. وذلك لو خررت وسجدت لي“. هنا مفهوم: «إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي» يحمل معنى الرضوخ لـ ”**مشورة الشيطان**“. ومشورة الشيطان عكس مشورة الله. ولماذا فعل الشيطان ذلك؟ ليتحاشى الهزيمة الأخيرة، وهي السقوط من السماء كالبرق، ويكون حينئذ: «لأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ قَدْ دِينَ.» (يو١٦: ١١).

✠ وهكذا هي مشورات العالم وفلسفات العالم:

- ”تنازَلْ، تنازَلْ أنت عن منهج الخلاص القائم على تحمُّل الآلام والصليب التي سأدخل أنا - الشيطان - فيها كمُنفِّذ للآلام وللصليب. ها أنا أُعطيك منهجًا سهلًا، لا صوم فيه ولا تعب ولا شقاء ولا صليب، ليس فيه بَذْل ولا فيه آلام، ها هو طريق سهل لبلوغ رئاسة العالم. لا داعي لشروط القداسة والطهارة، التي هي صعبة على الناس، لا داعي للتركيز على الخطايا، كأنها تَدخُّل في شئون الناس، اتركهم، وخصوصًا الخطايا التي يحبها الناس أي خطايا الجنس بكل أنواعها. يكفي أن نجعلها مجرد أخلاقيات عامة يختارها الناس حسب هواهم وميولهم الطبيعية، فإنهم بشر. لا داعي للتمسُّك بالمُثُل العُليا وتجعل الناس يرتقون إلى ما هو أعلى منهم، لا تُضيِّق على عقول الناس وحياتهم. اترك السلوكيات مفتوحة“.

- ”دَعِ الفُرَص في الحياة مُتاحة للجميع بلا عوائق وحدود، والبقاء طبعًا سيكون للأدهى، الأكثر مكرًا، فهو الذي له الحق في البقاء والرئاسة. والأكثر تمرُّدًا هو الذي يصير الرئيس، والسلطان لِمَن يَدْفَع. سهِّل يا أخي الحياة للناس، واعطِهم أفكارك في كوب من الشراب اللذيذ. دَعْك من الأفكار العالية والكلام الصعب الذي يصير مثل الغُصَّة، صليب ودم وعذاب! لا تُلزمهم بوصايا صعبة لا يقدرون عليها، إنهم بشر. انشُر الحرية والتحرُّر من القيود، كل القيود، فالناس وُلدوا أحرارًا ولابدّ أن يعيشوا أحرارًا. وأنا (**الشيطان**) مستعدٌّ أن أُقنع جميع الناس - في البلاد والممالك - لتدخل تحت سلطانك، الذي هو أصلًا لي وسأُعطيه لك. وحتى اليهود سأجعلهم جنودك المُخْلِصين لردع العالم، وهم أقدر الناس بذكائهم لإخضاع العالم لك“.

- ”وهكذا نحيا - أنا وأنت - في أُخوَّة صادقة، أنت الرئيس وأنا خادمك المطيع. ولكن بعد أن تأخذ المشورة وتخضع لي، وللوقت سأخضع أنا لك. وبذلك تنتهي الحروب والاضطهادات والاضطرابات والأوجاع وكل ما هو مرٌّ. أنا سوف ألغيها، على شرط أن تترك نهائيًا طريق الصليب والآلام هذه. وعلى الأخص أنها لا تُناسبك كابن الله، إذ كيف تموت؟ وكيف تُصْلَب؟ وكيف تُهان؟ وكأنك تهين الله أباك“.

- ”أما إذا لم يوافقك رأيي هذا وأَعْرَضتَ عن مشورتي، فأنت تَعْلَم مدى ضراوة الحرب التي ستكون بيني وبينك؛ فسأُقاوم كل عمل تعمله، وكل قول تقوله، وسأُلقي بذرة الحقد عليك وعلى أعمالك في كل قلب، وفي كل مكان يُدعى فيه اسمك، وسأُشبع أتباعك من المرائر أشكالًا وألوانًا، وسأضطهدهم إلى الموت!!“.

ردُّ المسيح:

✠ «اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! إِنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ» (مت ٤: ١٠؛ لو ٤: ٨).

- ”منهجي من الله أَخذتُ، وكأس آلامي من يد أبي سأشرب. لهذا جئتُ ولهذا وُلِدتُ. ومملكتي ليست من هذا العالم، وخضوعي هو لله أبي وحده. وعندما أرتفع على صليبي، سأطأ بقدميَّ على هامة أعدائي (**الشياطين**)، وبدمي سأُمسَح مَلِكًا ليُدفع ليدي كل سلطان ما في السماء وما على الأرض“.

ولربنا المجد الدائم إلى الأبد، آمين.

هَكَذَا الإِيمَانُ أَيْضًا بِدُونِ أَعْمَالٍ مَيِّتٌ

وَإِذَا ٱفْتَقَرْتَ إِلَى ٱلذَّخَائِرِ، لَمْ تَجِدْ ذُخْرًا يَكُونُ كَصَالِحِ ٱلْأَعْمَالِ

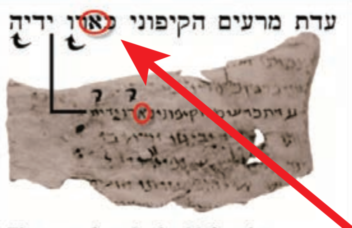

The scrap from Psalm 22 found at Nachal Hever (5/6Hev - Col. XI, frag. 9) with the text under investigation from Psalm 22:17 enhanced.

«أَيِّلَةَ الصُّبْحِ» (مز ٢١)

إحدى الأدلّة الدّامغة من مخطوطات قمران منذ القرن الثالث قبل الميلاد يؤكّد فيها النبي داود بمزموره ٢١/٢٢ المميّز صلب المسيح وآلامه، معلنًا:

جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي. ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ.، أَحْصُوا كُلَّ عِظَامِي.

المزمور ٢١، هو قمة المزامير المسيّانيّة، ويُعطينا صورة نبويّة حيّة للصليب قبل حدوثه بنحو **ألف عام**، ففيه يرسم لنا الروح القُدُس مشهد الجلجثة حيث تألَّمَ المسيح من أجلنا. فهو يحوي سرَّ الأسرار: الابن الحبيب متروكًا من الله! ينبوع المياه الحيَّة، بحَنَكٍ يابس! الذي تُبْدي الخليقةُ قوَّتَه، يقول المزمور: «يَبِسَتْ مِثْلَ شَقْفَةٍ قُوَّتِي» (مز ٢١: ١٥)! والمؤتزر بالجلال نراه عاريًا عن كل كرامة بشريَّة!! فَلْتنحنِ الهامات ونحن نقرأ كلمات هذا المزمور النفيس، ولتَفِض من القلب أعمق مشاعر التوقير والإجلال والتعبُّد.

عنوان المزمور ٢١: ”لإِمَامِ الْمُغَنِّينَ عَلَى «أَيِّلَةِ الصُّبْحِ» – مَزْمُورٌ لِدَاوُدَ“. فالمسيح هو إمام المُغَنِّين الحقيقي الواقف في الوسط يقود إخوته في التسبيح: «فِي وَسَطِ الْجَمَاعَةِ (الكنيسة) أُسَبِّحُكَ» (مز ٢١: ٢٢؛ عب ٢: ١٢). أمَّا عن تعبير ”عَلَى «أَيِّلَةِ الصُّبْحِ»“، فإنَّ منطقة يهوذا، التي تقع فيها قرية بيت لحم، حيث تربَّى داود، هي منطقة مُحاطة بالجبال، وكثيرًا ما سهر داود يحرس أغنامه على تلك الجبال، ونستشفُّ من هذا التعبير أنَّ داود كان يستمتع بمنظر الشمس وهي تُشرق، مُتخيِّلًا أشعة الشمس أول ما تظهر له من خلف جبال يهوذا كأنها قرون الأيِّل، فدعا الشمس المُشرقة: «أَيِّلَةَ الصُّبْحِ». كما أنَّ وصف الشمس بالغزالة، استعارة كثيرة الورود في اللغة العربيَّة، فيَرِد معنى ”غزالة“ في المعاجم: ”الشمس عند طلوعها“، لأنها تمدُّ حِبالًا من نورها كأنها تغزل. ولا يُقال ”غربت الغزالة“، لأن هذا الاسم مخصوصٌ بها عند طلوعها. ويُقال ”ذَرَّ قرنُ الغزالة“ أي طلعت الشمس. ومَن هي الشمس المُشرقة سوى **شخص الرب يسوع المسيح**، كما جاء في ملاخي ٤: ٢: «وَلَكُمْ أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ اسْمِي تُشْرِقُ شَمْسُ الْبِرِّ وَالشِّفَاءُ فِي أَجْنِحَتِهَا».

ويتميَّز الأيَّل بأشواقه وتلهُّفه إلى المياه: «كَمَا يَشْتَاقُ الأَيَّلُ إِلَى جَدَاوِلِ الْمِيَاهِ» (مز ٤١: ١)، هكذا كان المسيح: «فِي نَامُوسِ الرَّبِّ مَسَرَّتُهُ، وَفِي نَامُوسِهِ يَلْهَجُ نَهَاراً وَلَيْلاً» (مز ١: ٢)؛ بل هو – كما قال يعقوب – أيِّلة مُسَيَّبة في (تك ٤٩: ٢١): «أَيِّلَةٌ مُسَيَّبَةٌ يُعْطِي أَقْوَالاً حَسَنَةً». فقد انسلَّ المسيح من أكفان القبر وقام من بين الأموات، وبعد قيامته أعطى الأقوال الحسنة: «أُخْبِرْ بِاسْمِكَ إِخْوَتِي».

ومع أنَّ المزمور مليء بذِكْر **حيوانات شرسة: ثيران، وكلاب، وبقر الوحش، والأسد**؛ لكن هذه الضَّواري كلها اجتمعت ضد الأيِّلة الوديعة، ربنا يسوع المسيح. ولكن هيهات فسوف ترجع إلى الربِّ كلّ أقاصي الأرض، وتسجد قدَّامه كلُّ قبائل الأمم وكلُّ سميني الأرض (الأشراف والعظماء)، ويأتون ويُخبرون ببرِّه (مز ٢١: ٢٧، ٢٩، ٣١).

فحين رنَّم بنو اسرائيل ترنيمتهم للربِّ بقيادة موسى، وهم على شاطئ البحر، وكان عددهم من ابن عشرين سنة فصاعدًا نحو ستمائة ألف رجل؛ كانت هذه صورة مُصغَّرة لِمَا سيحدث عندما تُرنِّم جماعة المفديِّين العظيمة في السماء على القيثارات، للجالس على العرش، ترنيمةً جديدة: «مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ وَتَفْتَحَ خُتُومَهُ، لأَنَّكَ ذُبِحْتَ وَاشْتَرَيْتَنَا للهِ بِدَمِكَ» (رؤ ٥: ٩).

يبدأ المزمور بهذه العبارة: «إِلَهِي إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟»، والتي نطق بها ربنا من فوق الصليب، وهي بخلاف باقي عباراته السَّبع سُجِّلَت بذات النُّطق الذي خرج من فم المسيح، أي باللغة الآراميَّة ثُمَّ تفسيرها باليونانيَّة: «إِلُوِي إِلُوِي لَمَا شَبَقْتَنِي؟ اَلَّذِي تَفْسِيرُهُ: إِلَهِي إِلَهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟» (مر ١٥: ٣٤)

وكأنَّ الروح القدس أراد أن تُخلِّد الأجيالُ والأبديَّة تلك الصرخة بذات الألفاظ التي خرجت من فم البارِّ المُتألِّم، والتي نطق بها من عمق أعماق الألم.

فإنْ كان الله لا يُحوِّل عينيه عن البارِّ (أي ٣٦: ٧)؛ فالمسيح، وهو البارُّ القدوس الذي من الأزل وإلى الأبد في حضن الآب، صاحبُ الشركة غير المنقطعة مع أبيه، نسمعُه هنا يصرخ بالجسد إلى الآب لأنه تركه. ولكن لولا ترك الآب له ما استطاع أن يُصلَب، وما أمكن أبدًا أن يموت، لأنَّ لعنة الصليب لا يمكن أن يتقبَّلها دون أن يتخلَّى الآب عنه، ليتحمَّل اللعنة وحده!

في هذا المزمور يشكو المسيح ثلاث مرات من البُعد: «بَعِيدًا عَنْ خَلاَصِي» (ع ١)، «لاَ تَتَبَاعَدْ عَنِّي» (ع ١١)، «أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَلاَ تَبْعُدْ» (ع ١٩). كأنَّ المسيح يقول للآب: ”إنني في البداية لم يكن لي سواك، وإلى النهاية ليس لي إلَّاك، فلماذا تركتني؟!!“.

مَن يقدر أن يسْبُر غَوْر ما تمَّ بين الآب وبين نفس المسيح المثقَّلة المتألِّمة؟ ماذا بوسعنا أن نُدرك؟ تُرَى ماذا سيفعل الخَطَأة في أبديَّة لا تنتهي؟ إلى أبد الآبدين سيكونون بعيدين عن مركز الله!

وتأتي في هذا المزمور البديع عبارةٌ تقشعرُّ لها الأبدان، وهي قولُ المزمور بلسان ابن الله: «أَمَّا أَنَا فَدُودَةٌ لاَ إِنْسَانٌ» (ع ٦)، وهي مسافة لا تُقاس، تلك المسافة التي بين قول الربِّ قديمًا لموسى في (خر ٣: ١٤) «أَهْيِه»، وهي بعينها العبارة التي قالها المسيح للَّذين أتوا ليقبضوا عليه في البستان: «أَنا هو» (يو ١٨: ٥)؛ وبين أنَّاته بعد

ساعاتٍ معدودة في الجلجثة بقول المزمور: «أنا دودة» (مز ٢١ : ٦).

مَن الذي يقول هذا؟ إنه القدير مُبدع الأكوان، الذي كال بكفِّه المياه، وقاس السموات بالشِّبر، وكال بالكَيْل تراب الأرض، ووَزَن الجبال بالقبَّان والآكام بالميزان (إش ٤٠ : ١٢).

تأمَّلي، يا نفسي، في هذا اللُّغز العجيب واخشعي وقولي مع إشعياء النبي: «مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا» (إش ٥٣ : ١).

يقول المزمور في آية ١٤ : «كَالْمَاءِ انْسَكَبْتُ»، فهذه صورة لمنتهى الضعف، لأنه هل توجد صعوبة في سكب الماء؟ إنَّ أضعف شخص بوسعه أن يفعل ذلك؛ والماء المُهراق، ليس فقط صورة للضعف، بل أيضًا لاستحالة جمعه من جديد (٢صم ١٤ : ١٤).

هكذا يصفُ ربنا حالَه، في المزمور، وهو يموت على الصليب: «صَارَ قَلْبِي كَالشَّمْعِ. قَدْ ذَابَ فِي وَسَطِ أَمْعَائِي». إنَّ **أسَد سبط يهوذا** ذاب قلبه على الصليب، فيما يتحدث المُرنِّم عن يوم ظهوره فيقول: «ذَابَتِ الْجِبَالُ مِثْلَ الشَّمعِ قُدَّامَ الرَّبِّ، قُدَّامَ سَيِّدِ الأَرْضِ كُلِّهَا» (مز ٩٦ : ٥). وليس فقط الجبال ستذوب، بل كلُّ مَن رفض محبته والإيمان به: «لَحْمُهُمْ يَذُوبُ وَهُمْ وَاقِفُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ، وَعُيُونُهُمْ تَذُوبُ فِي أَوْقَابِهَا، وَلِسَانُهُمْ يَذُوبُ فِي فَمِهِمْ» (زك ١٤ : ١٢).

ويواصل المسيح وصف آلامه – كما جاء في المزمور – فيقول: «يَبِسَتْ مِثْلَ شَقْفَةٍ قُوَّتِي، وَلَصِقَ لِسَانِي بِحَنَكِي، وَإِلَى تُرَابِ الْمَوْتِ تَضَعُنِي» (ع ١٥). فذاك الذي تُعلن السموات والأرض قدرته السرمديَّة ولاهوته، كان في بستان جتسيماني مسكينًا مُعْيًّ؛ والمُفجِّر عيونًا في الأودية، قد صار حَنَكه يابسًا من هول ما احتمل!!

ثُمَّ أخيرًا مُحيي الرميم يُوضَع في تراب الأرض! الآيات (١٢،١٦): «أَحَاطَتْ بِي ثِيرَانٌ (اليهود)... أَحَاطَتْ بِي كِلاَبٌ (الأمم، انظر: مت ١٥ : ٢٦). جَمَاعَةٌ مِنَ الأَشْرَارِ اكْتَنَفَتْنِي». لقد كان الصَّيادون يستخدمون الكلاب المُدرَّبة لتُحيط بالفريسة التي يريدون الإيقاع بها؛ وهذا ما فعله صيَّاد البشر الأكبر (**الشيطان**) عند الصليب مع الأيِّلة الطاهرة الوديعة (**المسيح**)، إذ استخدم الأشرار والقَتَلَة نظيره.

«ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ» (ع ١٦). تأتي كلمة «ثَقَبُوا» في النَّصِّ البيروتي والتي تُقابل في العبريَّة كلمة « כָּאֲרוּ (كأرو) = ثقبوا»، بينما النَّصُّ الماسوري «כָּאֲרִי (كأري) = كأسد»، وكذلك ترجمة (Jewish publication society) «like a lion = كأسد» وبعض الترجمات اليهوديَّة، لكي **يخفوا النبوَّة الواضحة عن موت المسيَّا مصلوبًا عن طريق ثقب يديه ورجليه**: «وَأَعْطَوْا الْعَسْكَرَ فِضَّةً كَثِيرَةً قَائِلِينَ: قُولُوا إِنَّ تَلاَمِيذَهُ أَتَوْا لَيْلاً وَسَرَقُوهُ وَنَحْنُ نِيَامٌ» (مت ٢٧: ١٢،١٣). لكن الترجمة السبعينيَّة تؤكِّد ما فهمه اليهود في **القرن الثالث قبل الميلاد**، فجاءت الكلمة «أوريكسان ὤρυξαν = ثقبوا».

فإن كان داود قد رأى المسيحَ، من على بُعْدِ مسافةٍ من وراء الدُّهور، مُعلَّقًا على الصليب، «فَإِذْ كَانَ نَبِيًّا... سَبَقَ فَرَأَى وَتَكَلَّمَ عَنْ الْمَسِيحِ» (أع ٢ : ٣٠،٣١)، «سَبَقَ فَشَهِدَ بِالآلاَمِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ، وَالأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا الَّذِينَ أُعْلِنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لَنَا كَانُوا يَخْدِمُونَ بِهذِهِ الأُمُورِ الَّتِي أُخْبِرْتُمْ بِهَا أَنْتُمُ الآنَ» (١بط ١ : ١١، ١٢)؛ ولكن اليوم صار دمه يسري في عروقنا، فأيَّ أُناسٍ يجب أن نكون نحن في سيرة مُقدَّسة وتقوى (٢بط ٣ : ١١)؟

لذلك يجب أن «لْنُحَاضِرْ بِالصَّبْرِ فِي الْجِهَادِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا. نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ. الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ. احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِيناً بِالْخِزْيِ. فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ.» (عب١٢: ١،٢)، «فَتَفَكَّرُوا فِي الَّذِي احْتَمَلَ مِنَ الْخُطَاةِ مُقَاوَمَةً لِنَفْسِهِ مِثْلَ هذِهِ لِئَلاَّ تَكِلُّوا وَتَخُورُوا فِي نُفُوسِكُمْ.» (عب ١٢ : ٣).

أخيرًا، فإن كان الآب لم يَبْخل بابنه بل بذله لأجلنا أجمعين (رو ٨: ٣٢)، وأفنى الابنُ قدرتَه بالجسد من أجلنا (إش ٤٩ : ٤)، وأحبَّنا إلى المنتهى (يو ١٣ : ١)، وأعطانا كلَّ ميراث الله والمسيح (رو ٨: ١٧)، بل ولكي يضمن لنا الميراث أعطانا عربون الميراث (أف١: ١٤) وصرنا خليقة جديدة في المسيح يسوع (٢كو٥: ١٧)، وشركاء الطبيعة الإلهيَّة (٢بط١: ٤)، ولا يزال عطاؤه غيرَ مجْذُوذٍ (أي مقطوع)؛ فليت شعري: ماذا حاق بنا حتى غابت ينابيع المسرَّة في القلوب، وماتت أحاسيس البهجة في النفوس، وتحلَّلت أواصر المودَّة بين الناس، وآل الأمر إلى هذه الصورة الطامسة والحال البائسة! ودخلنا دخولًا في حَوْمة (ساحة) الفساد المُطبِق الذي عمَّ وساد حياتنا وطمَّ (كَثُرَ حتَّى عَظُمَ) وطغى. هل صار أعضاء جسد المسيح هم أشقى جميع الناس! وكيف نغفلُ، يا إخوتي، عن عِظَم صنيع الرب معنا وما فَعَلَه من أجلنا!

ولكن اعلَمْ أنَّ الإنسان لا يرتاح ولا يهدأ له بال إلَّا بمعيَّة الله، جلَّت قدرته.

فمَن ذا الذي يسكن في حضرة المسيح دون أن يُسلَب لُبُّه، ويُسبَى بهذا المجد وهذا الحضور الإلهي البهيّ؟

إنه فرحٌ لا يُنطَق به ومجيد، وأننا سوف نهجُرُ، يومًا ما، هموم هذا العالم وقضاياه، وسيؤول هذا الدَّهر حتمًا إلى الانحلال ثم إلى الزوال.

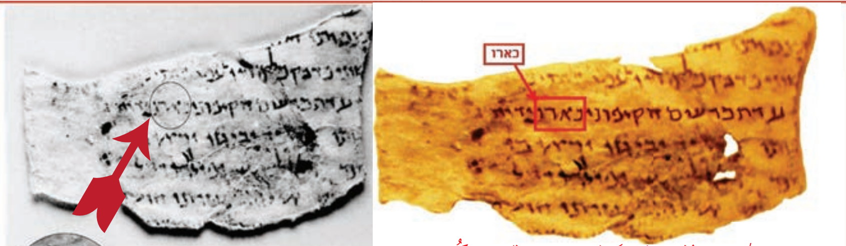

مزمور ٢٢/٢١ الذي وُجِدَ في مغاور قمران كُتِب حوالي ١٥٠ ق.م. من جماعة الأسينيين.

Dead Sea Scroll 5/6 HevPsalm

(Enhanced Im ages)

« כָּאֲרוּ (كأرو) = ثقبوا»

حقيقة دامغة أكيدة لا تقبل الشَّك بتاتًا تُثبت أنه سيتم ثقب يديّ المسيح ورجليه على الصليب.

ولن يبقى من هذه الضجَّة الكبرى التي نحن في موكبها، من الطفولة إلى الانتقال، إلَّا ما ينسجم مع قانون الخلود!

ولن يبقى من كلِّ ما عملتْ أيدينا وما اشتهت قلوبنا، إلَّا ما هو جليلٌ وحقٌّ.

المذبح الحقيقي

✠ «لَنَا «مَذْبَحٌ» لاَ سُلْطَانَ لِلَّذِينَ يَخْدِمُونَ الْمَسْكَنَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهُ.» (عب ١٣: ١٠).

✠ يسرد لنا سِفْر الملوك الأول قصة غامضة حدثت بعد انفصال المملكة الشمالية (إسرائيل) عن المملكة الجنوبية (يهوذا): «وَقَالَ يَرُبْعَامُ (ملك إسرائيل) فِي قَلْبِهِ: «الآنَ تَرْجعُ الْمَمْلَكَةُ إِلَى بَيْتِ دَاوُدَ. إِنْ صَعِدَ هذَا الشَّعْبُ لِيُقَرِّبُوا ذَبَائِحَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ فِي أُورُشَلِيمَ، يَرْجعْ قَلْبُ هذَا الشَّعْبِ إِلَى سَيِّدِهِمْ، إِلَى رَحُبْعَامَ مَلِكِ يَهُوذَا وَيَقْتُلُونِي، وَيَرْجِعُوا إِلَى رَحُبْعَامَ مَلِكِ يَهُوذَا». فَاسْتَشَارَ الْمَلِكُ وَعَمِلَ عِجْلَيْ ذَهَبٍ، وَقَالَ لَهُمْ: «كَثِيرٌ عَلَيْكُمْ (أو رحلة طويلة عليكم) أَنْ تَصْعَدُوا إِلَى أُورُشَلِيمَ. هُوَذَا آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّذِينَ أَصْعَدُوكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ».وَوَضَعَ وَاحِدًا (أي عِجلًا ذهبيًا) فِي بَيْتِ إِيلَ، وَجَعَلَ الآخَرَ فِي دَانَ. وَكَانَ هذَا الأَمْرُ خَطِيَّةً. وَكَانَ الشَّعْبُ يَذْهَبُونَ إِلَى أَمَامِ أَحَدِهِمَا حَتَّى (طول المسافة) إِلَى دَانَ. وَبَنَى بَيْتَ الْمُرْتَفَعَاتِ (عبادة البَعْل)، وَصَيَّرَ كَهَنَةً مِنْ أَطْرَافِ (أو فئات) الشَّعْبِ لَمْ يَكُونُوا مِنْ بَنِي لاَوِي. وَعَمِلَ يَرُبْعَامُ عِيدًا فِي الشَّهْرِ الثَّامِنِ فِي الْيَوْمِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ (يوم الكفّارة)، كَالْعِيدِ الَّذِي فِي يَهُوذَا (أو أورشليم)، وَأَصْعَدَ عَلَى الْمَذْبَحِ. هكَذَا فَعَلَ فِي بَيْتِ إِيلَ بِذَبْحِهِ لِلْعِجْلَيْنِ اللَّذَيْنِ عَمِلَهُمَا. وَأَوْقَفَ فِي بَيْتِ إِيلَ كَهَنَةَ الْمُرْتَفَعَاتِ الَّتِي عَمِلَهَا. وَأَصْعَدَ (ذبائح) عَلَى الْمَذْبَحِ الَّذِي عَمِلَ فِي بَيْتِ إِيلَ (بذَبْحِه لِلعِجْلَيْن الذهبيّيْن اللّذَيْن عَمِلَهما) فِي الْيَوْمِ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ الثَّامِنِ، فِي الشَّهْرِ الَّذِي ابْتَدَعَهُ مِنْ قَلْبِهِ، فَعَمِلَ عِيدًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَصَعِدَ عَلَى الْمَذْبَحِ لِيُوقِدَ.» (١مل ١٢: ٢٦-٣٣).

✠ والسؤال الذي يتبادر إلى ذهن القارئ هو: لماذا حرَّم الله تقديم ذبائح في أيِّ مكان آخر غير هيكل أورشليم؟

معروفٌ أنَّ الهيكل تم بناؤه على جبل موريا، وهو المكان الذي قدَّم فيه إبراهيم إسحق ابنه (بالنيَّة) ذبيحة للرب، حسب **المؤرِّخ اليهودي يوسيفوس**(١). وتحريم تقديم ذبائح على أيِّ مذبح آخر، كان نبوَّة طقسية عن المذبح الوحيد الذي أصبح الآن مقبولًا لدى الله الآب، وهو **صليب المسيح**، الذي قدَّم عليه الابن جسده صَعيدةً مَرْضيَّةً. والذي حدث في اللحظة التي أَسلم فيها المسيحُ الروحَ على مذبح الصليب، أنَّ حجاب (أو ستارة) الهيكل الذي يفصل القُدْس عن قُدْس الأقداس، انشقَّ من فوق إلى أسفل، أي أنَّ العبادة اليهودية قد بطلت بكلٍّ ما فيها من **ذبائح ومذبح وكهنوت وناموس وهيكل وأعياد... إلخ**. ولكن الوحيد بين الرسل الذي وَعَى ذلك جيِّدًا هو بولس الرسول، الذي جعل هذا المبدأ محور كرازته للأُمم!

ويبدو أنَّ حجاب الهيكل الذي انشقَّ، لم يُفهَم معناه من قِبَل اليهود، بل ظلُّوا يرفعون ذبائحهم كما اعتادوا. ولكن ما هو موقف الله من هذه الذبائح بعد أن قَبِلَ الذبيحة الحقيقية الوحيدة من على صليب المسيح؟

✠ الجواب نستشفُّه من بقية النبوَّة:«وَإِذَا بِرَجُلِ اللهِ قَدْ أَتَى مِنْ (مملكة) يَهُوذَا بِكَلاَمِ الرَّبِّ إِلَى بَيْتِ إِيلَ، وَيَرُبْعَامُ (ملك إسرائيل) وَاقِفٌ لَدَى الْمَذْبَحِ لِكَيْ يُوقِدَ (النار). فَنَادَى (رجل الله) نَحْوَ الْمَذْبَحِ بِكَلاَمِ الرَّبِّ وَقَالَ: «يَا مَذْبَحُ، يَا مَذْبَحُ، هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هُوَذَا سَيُولَدُ لِبَيْتِ دَاوُدَ ابْنٌ اسْمُهُ يُوشِيَّا، وَيَذْبَحُ عَلَيْكَ كَهَنَةَ الْمُرْتَفَعَاتِ الَّذِينَ يُوقِدُونَ عَلَيْكَ، وَتُحْرَقُ عَلَيْكَ عِظَامُ النَّاسِ». وَأَعْطَى فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَلاَمَةً قَائِلاً: «هذِهِ هِيَ الْعَلاَمَةُ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا الرَّبُّ: هُوَذَا الْمَذْبَحُ يَنْشَقُّ وَيُذْرَى الرَّمَادُ الَّذِي عَلَيْهِ» (١مل ١٣: ١-٣).

هذه العلامة تُذكِّرنا بنبوَّة المسيح: «ثُمَّ خَرَجَ يَسُوعُ وَمَضَى مِنَ الْهَيْكَلِ، فَتَقَدَّمَ تَلاَمِيذُهُ لِكَيْ يُرُوهُ أَبْنِيَةَ الْهَيْكَلِ . فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«أَمَا تَنْظُرُونَ جَمِيعَ هذِهِ؟ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ لاَ يُتْرَكُ ههُنَا حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ لاَ يُنْقَضُ!» (مت ٢٤: ٢).

✠ ولكن السؤال هو: هل وَجَدَت هذه النبوَّة آذانًا صاغية لدى التلاميذ؟ لقد كان اليهود بما فيهم التلاميذ ينظرون إلى الهيكل على أنه رمز الأُمة اليهودية، وأي مساس به هو مساس بكيان إسرائيل ذاته وبروحها. وحتى بعد قيامة المسيح من بين الأموات ظلَّت الأفكار القومية عالقة بذهن التلاميذ وسألوه: «يَا رَبُّ، هَلْ فِي هذَا الْوَقْتِ تَرُدُّ الْمُلْكَ إِلَى إِسْرَائِيلَ؟» (أع ١: ٦). وقد كانت إحدى التُّهَم التي وُجِّهَت إلى **اسطفانوس** عند قتْله، أنه جدَّف على الهيكل: «هذَا الرَّجُلُ لاَ يَفْتُرُ عَنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ كَلاَمًا تَجْدِيفًا ضِدَّ هذَا الْمَوْضِعِ (أي الهيكل) الْمُقَدَّسِ وَالنَّامُوسِ، لأَنَّنَا سَمِعْنَاهُ يَقُولُ: إِنَّ يَسُوعَ النَّاصِرِيَّ هذَا سَيَنْقُضُ هذَا الْمَوْضِعَ، وَيُغَيِّرُ الْعَوَائِدَ الَّتِي سَلَّمَنَا إِيَّاهَا مُوسَى» (أع ٦: ١٣، ١٤).

وكان دفاع **اسطفانوس**: «...وَلكِنَّ سُلَيْمَانَ بَنَى لَهُ بَيْتًا. لكِنَّ الْعَلِيَّ لاَ يَسْكُنُ فِي هَيَاكِلِ مَصْنُوعَاتِ الأَيَادِي، كَمَا يَقُولُ النَّبِيُّ: السَّمَاءُ كُرْسِيٌّ لِي، وَالأَرْضُ مَوْطِئٌ لِقَدَمَيَّ. أَيَّ بَيْتٍ تَبْنُونَ لِي؟ يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَيٌّ هُوَ مَكَانُ رَاحَتِي؟ أَلَيْسَتْ يَدِي صَنَعَتْ هذِهِ الأَشْيَاءَ كُلَّهَا؟... فَلَمَّا سَمِعُوا هذَا حَنِقُوا بِقُلُوبِهِمْ وَصَرُّوا بِأَسْنَانِهِمْ عَلَيْهِ....» (أع ٧: ٤٧-٥٠، ٥٤).

وكانت هذه أول بادرة للاضطهاد السافر ضد «شيعة الناصريين»

من قِبَل اليهود، الذي ظلَّ يزداد ويتفاقم إلى أن تُوِّج بإلقاء **يعقوب أخي الرب أسقف أورشليم** من فوق جناح الهيكل ورَجْمه حتى الموت!

✠ نعود الآن لنتحسَّس موقعنا من نبوَّة سِفْر الملوك الأول: فَنَادَى (رجل الله) نَحْوَ الْمَذْبَحِ بِكَلاَمِ الرَّبِّ وَقَالَ: «يَا مَذْبَحُ، يَا مَذْبَحُ، هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هُوَذَا سَيُولَدُ لِبَيْتِ دَاوُدَ ابْنٌ اسْمُهُ يُوشِيَّا، وَيَذْبَحُ عَلَيْكَ كَهَنَةَ الْمُرْتَفَعَاتِ الَّذِينَ يُوقِدُونَ عَلَيْكَ (أي يُقدِّمون عليك الذبائح)، وَتُحْرَقُ عَلَيْكَ عِظَامُ النَّاسِ» (١مل ١٣: ٣).

واضحٌ أنَّ الكلام منطبق تمامًا على المصير الأسود الذي كان ينتظر اليهود بعد صَلْب المسيح، ثم اضطهاد كنيسته بعد ميلادها. ففي سنة ٦٦م، بدأت الحرب اليهودية ضد الاحتلال الروماني، وقد كان التحدِّي الأحمق لقوة روما العسكرية في ذلك الوقت معروفًا نهايته مُسبقًا! ومِن ثمَّ فقد حاول **القائد الروماني تيطس** (المعروف برزانته وميوله السلمية والإنسانية) بكل ما أُوتِيَ من صبر ودبلوماسية، إقناع الجانب المُتمرِّد بالتفاوض والتعقُّل، ولكنه قوبل بمزيد من العناد والتعنُّت، حتى أنَّ الثُّوَّار «من مذهب **الغيورين**» كانوا يقتلون كل العقلاء من اليهود أنفسهم، مِمَّا أدَّى إلى حرب أهلية داخل أورشليم نفسها!

أما **المؤرِّخ اليهودي يوسيفوس**، فقد كان فرِّيسيًّا (ومعروف طبعًا موقف الفرِّيسيين من الرومان)؛ ولكن **القائد تيطس**، استخدمه كمُترجم في بادئ الأمر، ثم أصبح بعد ذلك طَرَفًا في المفاوضات، وانتهى به الأمر إلى الانحياز الكامل إلى جانب روما!

وقد كانت الحرب، في بادئ الأمر، حرب عصابات، وكانت معسكرات الجيش تتعرَّض لهجمات مُفاجئة من الثُّوَّار، وكان كثيرٌ منها أثناء الليل. ولمَّا نَفَدَ صبر **تيطس**، بدأ حصار أورشليم في أبريل سنة ٧٠م بعد عيد الفصح مباشرة، وكانت أورشليم في ذلك الوقت مُكتظَّة بالحُجَّاج اليهود! فكان الجوع والوبأ يحصد الآلاف يوميًا. وربما كان ذِكْر حادثة الأُم التي لجأت إلى شَيِّ ابنها كافيًا لوصف الحال داخل أسوار أورشليم بما قلَّ ودلَّ!

✠ نعود الآن إلى النبوَّة: «وَأَعْطَى فِي ذلِكَ الْيَوْمِ عَلاَمَةً قَائِلاً: «هذِهِ هِيَ الْعَلاَمَةُ الَّتِي تَكَلَّمَ بِهَا الرَّبُّ: هُوَذَا الْمَذْبَحُ يَنْشَقُّ وَيُذْرَى الرَّمَادُ الَّذِي عَلَيْهِ». فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ كَلاَمَ رَجُلِ اللهِ الَّذِي نَادَى نَحْوَ الْمَذْبَحِ فِي بَيْتِ إِيلَ، مَدَّ يَرُبْعَامُ يَدَهُ عَنِ الْمَذْبَحِ قَائِلاً: «أَمْسِكُوهُ». فَيَبِسَتْ يَدُهُ الَّتِي مَدَّهَا نَحْوَهُ وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّهَا إِلَيْهِ. وَانْشَقَّ الْمَذْبَحُ وَذُرِيَ الرَّمَادُ مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ حَسَبَ الْعَلاَمَةِ الَّتِي أَعْطَاهَا رَجُلُ اللهِ بِكَلاَمِ الرَّبِّ.» (١مل ١٣: ٣-٥).

واضحٌ أنَّ النبوَّة هنا تنطبق على اليهود الذين حاولوا إسكات فم **اسطفانوس**، الذي كان ينطق بكلام المسيح عن مستقبل الهيكل ومستقبل العبادة التي صارت باطلة. فمحاولة إخراس صوت الحق (الذي يُمثِّله في النبوَّة رجل الله)، انتهت بشللٍ في يد يَرُبعام، وخراب أورشليم والهيكل بمذبحه على يد **تيطس** (المرموز له بيوشيًّا في النبوَّة) في سنة ٧٠م.

✠ وفيما يخص الحادثة الأخيرة، يقول المؤرِّخ الكنسي *Philip Schaff*: «وأخيرًا دُوهِمَت قلعة أنطونيا (في أورشليم) ليلًا، وسقطتْ في شهر يوليو(٢). ومهَّد ذلك لخراب الهيكل حيث قمة المأساة! وتوقَّفتْ الذبائح اليومية (في الهيكل) في ١٧ يوليو سنة ٧٠م، لأن الحاجة كانت ماسة إلى الأيدي المُحارِبة. وكانت الذبيحة الأخيرة على مذبح المُحرقة وأكثرها دموية، هي ذَبْح آلاف اليهود الذين تكدَّسوا حوله» (٣).

(١) Josephus, Antiquities, I, 13.

(٢) الحصار بدأ في أبريل سنة ٧٠م.

(٣) *From Schaff's History of the Church, PC Study Bible formated electronic database 2006 by Biblesoft, Inc*

غبط – غبطة

غبط فلانًا غبطًا :تمنى مثل ما له من نعمة من غير أن يريد زوالها عنه.

واغتبط: فرح بالنعمة والغبطة :حُسن الحال والمسرة .

وعندما ولدت زلفة جارية ليئة ابنًا ثانيًا ليعقوب ، «قالت ليئة بغبطتي ، لأنه تغبطني بنات فدعت اسمه أشير» (تك ٣٠: ١٢ ,١٣). فكلمة «غبطة» هي في العبرية «أشير» ، وهي المستخدمة في مز ٤٠ :٢، أم٣: ١٨. وترجمت أيضًا هي ومشتقاتها في كثير من المواضع (انظر مثلًا مز ١: ١،٢: ١٢، ٤: ٢،٣٢: ١، ٧١: ١٧....الخ ، أم ٣١: ٢٨، ملاخي ٣: ١٢) .

أما كلمة غبطة ومغبوط في العهد الجديد فمترجمة عن الكلمة اليونانية «مكاريوس» (makarios) في (أع ٢٠: ٣٥، ١كو ٧: ٤٠، يع ١: ٢٥)، وهي نفس الكلمة المترجمة «طوبى في الكثير جدًا» من المواضع (انظر مثلًا مت ٥: ٣ و ٤ و٥ و ٦ و٧ و٨ و٩ و١٠ و١١ و١١ :٦....لو ١: ٤٥،٦: ٢٠ و ٢١ و ٢٢،.....يو ٢٠: ٢٩...الخ).

الجمع : غِبْطات

مصدر: غَبَطَ

الغِبطَةُ: أَن يتمنى المرءُ مِثْلَ ما للمغبوط من النعمة من غير أَن يتمنَّى زوالَها عنه

الغِبطَةُ: حُسن الحال ، مسرّة ، رضا تامّ دائم

صاحبُ الغِبْطة: لقبٌ للبطريرك

كونوا رجالًا

قطع رأس يوحنا المعمدان، الذي أعدّ شعبًا مستعدًا لقبول المسيح

في ختام رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس، يكتب القديس بولس هذه الكلمات: «اسهروا. اُثْبُتوا في الإيمان. كونوا رجالًا. تقوَّوْا» (١ كو ١٦: ١٣). ويعنينا هنا وصيته: «كونوا رجالًا». ولأن رسالته كانت موجَّهة إلى كلِّ الكنيسة برجالها ونسائها وصغارها. فالمعنى المقصود، إذًا، يتجاوز الرجولة الجسدية والأخلاقية إلى **الرجولة الروحية بسماتها المسيحية**.

الرجولة الجسدية، تعني قوة العضلات والصلابة والقدرة على الاحتمال ومواجهة الأخطار بغير خوف. وبعض هذه الصفات وراثي وبعضها مُكتسَب، ولكنها تتراجع مع الضعف والمرض والشيخوخة.

والرجولة الأخلاقية، والتي تُكتسَب بالتربية والتعليم ومن خلال القدوة، تقصد ضمن ما تقصد: الجديَّة والنجدة والمؤازرة وحماية الضعيف والدفاع عن حقوقه، وشجاعة الاعتذار عند الخطأ، والثبات في المحن.

ولكن **الرجولة الروحية** أمرٌ آخر. فهي هبة النعمة للذين يعيشون بالإيمان ويطلبونها من إلهنا الغني، فيُضيء فيهم **شخص المسيح** ويهبهم حيوية وتألُّقًا، ويُعطَوْن القدرة على ضبط النفس وقَمْع الجسد والجهاد ضد الخطيئة، وممارسة التوبة بغير تحفُّظ، والتحرُّر من الخوف، والأمانة حتى الموت، والشهادة للحقّ، والصلابة أمام الإغراء والوعيد، والصمود أمام التجارب والشدائد، وحَمْل الصليب واحتمال الآلام من أجل الإيمان، والاستقامة وعدم التذبذُب، والقناعة وعدم الشكوى والتذمُّر، وعدم الانحصار في الحزن والهَمّ، والتحرُّر من محبة المال، والتسامُح والغفران، والتعفُّف عن الانتقام.

الرجولة الروحية بهذه المعاني هي، إذًا، ليست للرجال والشباب وحدهم، وإنما هي للكل: رجالًا ونساءً، كبارًا وصغارًا؛ «فَاشْتَرِكْ أَنْتَ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ كَجُنْدِيٍّ صَالِحٍ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ.» (٢ تي ٢: ٣).

ووصية القديس بولس هذه، تجد صداها في كلمات الرب عن الحياة المسيحية التي دعا إليها، إنها ليست نُزهة وإنما هي مُمارسة جادّة تهبها النعمة، وعبَّر عنها بالدخول من الباب الضيِّق إلى الطريق الكَرِب المؤدّي وَحْدَهُ إلى الحياة الأبدية (مت ٧: ١٣،١٤؛ لو ١٣: ٢٤)، وأنَّ «مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ، وَالْغَاصِبُونَ يَخْتَطِفُونَهُ» (مت ١١: ١٢).

✠ نماذج مُلهمة:

✠ الذي يتقدَّم الكل هو **الرب يسوع كأعظم الرجال**، الذي ثبَّت وجهه نحو الصليب ولم يتهرَّب منه، بل إنه انتهر بطرس الذي بدافع محبته حثَّ الرب على تجنُّب الموت (مت ١٦: ٢٢)، فتكلَّل الربُّ ظافرًا بالقيامة.

✠ والعذراء أُمُّنا، وهي الفتاة الآتية من ناصرة الجليل، تتلقَّى بشجاعة بشارة الملاك بأن تكون والدة ابن الله المُتجسِّد، فتنحني طائعة لمشيئة الرب قائلة: «هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ» (لو ١: ٣٨). وبعد عقودٍ من المطاردة والعناء، تقف تحت الصليب الذي يحمل ابنها الفادي. ولأنها تعرف أنَّ في موته الدامي خلاص العالم، فهي تنطوي صامدة على السيف الذي يجوز في قلبها وتُسلِّم مشيئتها للتدبير الإلهي.

✠ **وتلاميذ الرب ورُسله** هم أنوار ساطعة في ميدان الرجولة مُتمثِّلين بسيِّدهم (١كو١١:١). فهُم يخرجون من السجن، لا ليتواروا خوفًا، وإنما ليُبشِّروا من جديد (أع٥:٢٠،٢١). وبعد جلدهم يذهبون فرحين أنهم حُسِبوا مستأهلين أن يُهانوا من أجل اسم الرب (أع ٥: ٤٠).

والقديس بولس يقول عن خدمته: «لَسْتُ أَحْتَسِبُ لِشَيْءٍ، وَلاَ نَفْسِي ثَمِينَةٌ عِنْدِي، حَتَّى أُتَمِّمَ بِفَرَحٍ سَعْيِي وَالْخِدْمَةَ الَّتِي أَخَذْتُهَا مِنَ الرَّبِّ يَسُوعَ، لأَشْهَدَ بِبِشَارَةِ نِعْمَةِ اللهِ.» (أع ٢٠: ٢٤).

والقديس بطرس يقف في ساعته الأخيرة أمام صليبه مُتماسكًا شُجاعًا، حاضر الذهن، ويرى نفسه غير مُستحق أن يُصلَب كسيِّده ويطلب أن يُصلَب مُنكَّس الرأس.

✠ **ومثلهم كل الشهداء** على مدى العصور، الذين لم يهابوا الموت، بل قدَّموا حياتهم حبًّا في الملك المسيح، وبينهم النساء والشباب بل الصغار والبسطاء.

✠ ولا ننسى الذين التفُّوا حول الرب وهو يقترب من الصليب، حين انفضَّ عنه الجميع وهربوا (مت ٢٦: ٥٦؛ مر ١٤: ٥٠)، مثل **يوسف الرامي ونيقوديموس** اللَّذَيْن لم يحرصا على موقعيهما في المجمع، بل دافعا عن الرب، وبعد موته أخذا جسده ودفناه في قبر **يوسف الرامي** الجديد (مت ٢٧: ٥٧-٦٠؛ مر ١٥: ٤٣-٤٦؛ لو ٢٣: ٥٠-٥٣؛ يو ١٩: ٣٨-٤٢).

وسمعان القيرواني الذي وهو عائد من حقله، وجد نفسه في صدارة موكب الصليب، فلما سخَّروه ليحمل الصليب لم ينسحب أو يتعلَّل، ولكنه ارتضى أن يكون واحدًا من أتباع المخلِّص ولو في

ساعته الأخيرة (مت ٢٧: ٣٢؛ مر ١٥: ١١؛ لو ٢٣: ٢٦)؛

كما لا ننسى **المريمات** اللائي كُنَّ أشجع من بعض الرجال في وجودهن إلى جوار الرب وأُمه العذراء وقت آلامه وحتى الصليب والقبر، وكوفئن، مِن ثَمَّ، أن يكُنَّ أول شهود قيامته المجيدة.

✠ وفي أيامنا هذه، في مصر وسوريا والعراق...الخ.. نرى عظمة المسيحيين المُحاصَرين بالكراهية والعنف، والصامدين أمام تهجيرهم وحرق بيوتهم وكنائسهم، أو سَحْل شبابهم وقتلهم؛ ولكنهم يقفون، رجالًا ونساءً، يحتملون الموت والألم والخسائر من أجل إيمانهم الذي تسلَّموه من آبائهم عَبْر الأجيال.

✠ كما نذكر **يوسف** الشاب العبراني الذي كان عبدًا غريبًا في بيت **فوطيفار**، وساندته نعمة الله فلم يُذعِن لسطوة امرأة سيِّده، ورَفَضَ الانصياع لرغبتها، وأفلت من بين يديها تاركًا ثوبه معها، وقانونه: «كَيْفَ أَصْنَعُ هذَا الشَّرَّ الْعَظِيمَ وَأُخْطِئُ إِلَى اللهِ؟» (تك ٣٩: ١٠،١٢).

نعم، إن الانفلات من سجن الشهوة هو تعبيرٌ أكيد عن الرجولة، خاصةً لمن هم في سنِّ الشباب. وفي هذا المجال يُزكَّى أيضًا المجاهدون الذين قبلوا الدعوة واختاروا البتولية طريقًا لتكريس حياتهم، سواء للعبادة في البراري، التي بدأها نجما البريَّة **أنبا بولا وأنبا أنطونيوس**؛ أو لخدمة الرب والكرازة للعالم بالإيمان.

✠ كما أنَّ وقوف الراعي ليحمي شعبه أمام مؤامرة الأشرار، الذين يُريدون اختطافهم أو التهامهم، هو من جوانب الرجولة في الخدمة. **فموسى** ترك حياته الهانئة في بيت فرعون وفضَّل المذلَّة مع إخوته، «حَاسِبًا عَارَ الْمَسِيحِ غِنًى أَعْظَمَ مِنْ خَزَائِنِ مِصْرَ، لأَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْمُجَازَاةِ.» (عب ١١: ٢٤-٢٦).

وكان **أثناسيوس**، شمَّاسًا وبطريركًا، أسدًا مِقْدَامًا في الدفاع عن الإيمان دون أن يهاب كثرة الأعداء وقوَّتهم، بل تشدَّد وتشجَّع مُعلنًا أنه ”ضد العالم“ *Contra Mondum*، حتى صار هذا لقبه.

✠ ويبرز لنا من العهد القديم نماذج عظيمة في الشجاعة تمسك بالإيمان، مثل **الفتية الثلاثة** الذين ظلُّوا على عبادتهم في أرض السبي ولم تردعهم نار الأتون؛ كما أنَّ **دانيال** رَفَضَ طاعة أَمْر **الملك داريوس** ولم يَخَف أن يُلقَى في جُبِّ الأُسود، حيث أرسل الله ملاكه وسدَّ أفواههم؛ **ويوحنا المعمدان** الذي شهد بالحقِّ أمام **هيرودس** ولم يتراجع أمام حدِّ السيف.

✠ ولا شكَّ أنَّ موقف **التوبة والرجوع إلى الله** بعد التيه، هو تعبيرٌ عن الرجولة الروحية، حيث يُقاوِم التائب الشعور بالخجل والمهانة وربما بالفضيحة، وحيث يكون الانفصال عن الخطيئة ورفاقها أشبه باقتلاع العين أو بَتْرِ الذراع، والذي تغلبه نعمة الله التي استثارت فيه التوبة.

نذكر هنا من العهد القديم، توبة داود، وهو النبي والملك الذي لم يُكابر أو يُبرِّر (٢ صم١٢: ١٣)، بل صارت مزامير توبته إلهامًا لكلِّ التائبين.

ويعرض لنا الإنجيل توبة المرأة الخاطئة (لو٧) التي لم تُلْقِ بالًا إلى المجتمعين في بيت **سمعان الفرِّيسي** ونظرة احتقارهم لها، وإنما حصرت انتباهها في **شخص المسيح** وحده، فخرجت من عنده مغفورة الخطايا.

ومثلها موقف **الابن الضال** الذي لم يُبالِ بالعقبات أمام عودته إلى بيت أبيه بعد أن اختار، بملء إرادته، أن يأخذ نصيبه من ميراث أبيه وهو بعد حي، وباستهتاره وطياشته بدَّد كل شيء، وربما استهول أن يعود مُنكسرًا مهزومًا خالي الوفاض فيسمع ما لا يطيق، وربما جرى طرده قبل أن يصل إلى تخوم أملاك أبيه. ولكنه استجمع شجاعته واستعدَّ لكل التبعات التي رأى أنه يستحقُّها، واتَّجه إلى بيته القديم يطلب عفوًا؛ فكان في رجوعه نجاته، فقد أحاطت به محبة أبيه الذي كان ينتظر عودته.

كما نذكر أيضًا دموع بطرس الذي بعد أن أنكر الرب، استعظم خطيئته وغسلها بخروجه من دائرة الضعف إلى ساحة قوَّة التوبة المُكلَّلة بالبكاء المُرِّ (مت ٢٦: ٧٥؛ مر ١٤: ٧٢؛ لو ٢٢: ٦١،٦٢).

✠ وبنفس القَدْر، فإنَّ **السلوك بالاتضاع** أمام الله والناس، يحتاج إلى معونة إلهية خاصة من أصحاب المراكز والمواهب المرموقة، وهو قمة الرجولة المسيحية وقوَّتها، وليس عنوانًا للضعف كما يفهم البعض. والرب هو قدوتنا، وهو ملك الملوك، الذي «أخلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ» (في٢: ٧)، وهو أوصى تابعيه أنْ «تَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ.» (مت ١١: ٢٩).

✠ عندما تغيب الرجولة المسيحية:

في غياب الرجولة المسيحية، يسود الضعف والتخاذُل والكسل والهزال والميوعة والرخاوة والخضوع للشهوة والرياء والادِّعاء، والتديُّن الشكلي وازدواج الحياة، والمراوغة والكذب والمكابرة والتبرير والتهرُّب، والنفاق والخنوع والخوف والتردُّد، ومحبة المال والميل للتنعُّم والترَّف والزينة، والأنانية والخيانة. وعند الحصار قد يُنكَر الإيمان بالكامل.

والنماذج كثيرة من حولنا، قديمًا وكل يوم. **فآدم وحواء** بَدَل

الاعتراف بالذنب، عَمِدَا إلى التبرير والتهرُّب (تك ٣: ١٢،١٣).
وقايين يُكابر أمام الله العارف بكلِّ شيء (تك ٤: ٩). **وامرأة لوط**، باستهتارها في الساعة الحاسمة للنجاة، تفقد الحياة (تك ١٩: ٢٦).
وعيسو المستبيح، يبيع بكوريته بأكلة عدس، كما يفقد بركة أبيه (تك ٢٥: ٣٣؛ ٢٧: ٣٨).

✠ **ويهوذا الإسخريوطي**، غَلَبَه الطمع ولم يحتمل أن يُبدِّد الرب آماله، رافضًا أن يتبعه إلى النهاية ويُشاركه آلامه، فباعه بالقليل؛ ولما عاد إلى نفسه، تنكَّب الطريق إلى التوبة، فَفَقَدَ كل شيء (مت ٢٧: ١٥؛ أع ١: ١٨).

✠ **وبيلاطس، وهو الحاكم الروماني ذو السلطان**، والذي كان بيده أن يحكم بإطلاق يسوع البار، خضع لأصوات الغوغاء ورؤساء الكهنة، وسقطت رجولته في الامتحان وتنكَّر للحقِّ مخذولًا (لو ٢٣: ٢٥).

✠ **وفيلكس الوالي**، عندما سمع الدعوة لتبعية يسوع من بولس الأسير، خانته شجاعته وخاف على موقعه واستكثر ثمن توبته، ومرتعبًا يطلب من بولس أن يذهب على أن يستدعيه متى توفَّر الوقت الذي لم يأتِ. وهكذا أفلتت منه فرصة خلاصه (أع ٢٤: ٢٤،٢٥).

✠ **والقديس بولس** يكتب حزينًا عن **ديماس** الذي تركه إذ أحبَّ العالم الحاضر (٢تي ٤: ٩).

نعم، فالطريق ليس آمِنًا، والأخطار تترصَّد المُجاهدين. وكثيرون يختبرون حياةً ممتلئة بالنصرة والقوَّة، ثم يدبُّ فيهم الضعف عندما يرتدُّون للماضي منخدعين من شهوتهم (يع ١: ١٤)؛ وإنْ لم تُدركهم مراحم الله ويعرفون طريق التوبة، فقد لا يستعيدون قوَّتهم، ويسبقهم المبتدئون والخَطَأَة الراجعون.

✠ ✠ ✠ ✠ ✠ ✠ ✠

«**كونوا رجالًا**»، هي دعوة للجميع، وهي وصية تُحتِّمها الحياة المسيحية، وتحمل في طيَّاتها نعمة بلوغها. على أنَّ البعض مع هذا سيقف عاجزًا، لأن التصاقه بالخطيئة يجعل حياة البرِّ عنده حُلمًا بعيد المنال.

والبعض يتحكَّم فيه الخوف وصِغَر النفس، فيرى إمكاناته قاصرة عن الإيفاء بالتزامات الحياة المسيحية. والبعض مِمَّن تُحاصره الهموم وأتعاب الزمان، يرى نفسه فاقد الهمَّة للجهاد والحرب الروحية.
هؤلاء أعذارهم حقيقية، ولكنها مع هذا غير مقبولة؛ ذلك أنَّ بلوغ الحياة المسيحية بكل بهائها وقوَّتها، هو ممكن فقط بعمل النعمة التي تستثير التوبة، وتطرح الماضي بظلامه كأن لم يكن.

عندما يلتقي العمل الإلهي مع الإرادة الطائعة، يتحوَّل أعتى الخَطَأَة إلى أعظم القدِّيسين. نعم، فالنعمة تصنع الرجال.

Δρ. Ναγεβ Σελεμαν

سفر سبت

لم ترد عبارة «سفر سبت» إلَّا في سفر أعمال الرسل (١: ١٢) لتحديد المسافة بين أورشليم وجبل الزيتون الذي أخذ الرب يسوع تلاميذه إليه في يوم صعوده. وكان المعلّمون اليهود (الربيون) يستخدمون هذه العبارة للدلالة على المسافة المسموح لليهودي أن يقطعها في يوم السبت ، دون أن يعتبر ذلك كسرًا لوصية حفظ السبت. وكانت هذه المسافة حسب تعليمات الربيين ألفي ذراع من منزل الشخص أو المكان الذي يقيم فيه. ولعل أساس ذلك كانت المسافة التى أمر الرب أن تكون بين تابوت العهد والشعب السائر وراءه (يش ٣: ٤). ويفترض أيضًا أنها كانت هي نفسها المسافة بين خيام الشعب وخيمة الاجتماع، فكانوا يقطعون هذه المسافة في ذهابهم إلى الخيمة لتقديم الذبائح في يوم السبت في أثناء تجوالهم في البرية. ولا نعلم متى أصبحت هذه المسافة مقياسًا للسفر في يوم السبت . ولكن يبدو أن هذا التحديد كان ساريًا في أيام وجود الرب يسوع على الأرض. والمسافة بين جبل الزيتون وأورشليم تبلغ نحو ألف ياردة وهو ما يعادل ألفي ذراع تقريبًا.

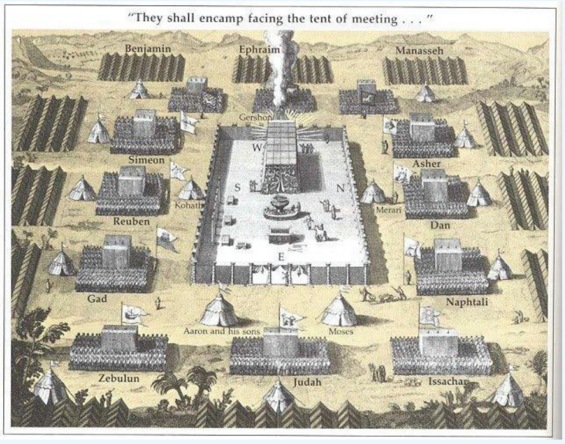

وقد اخترع الربيون وسيلة لإطالة هذه المسافة لتجنب التعدي على الشريعة، فكان اليهودي يستطيع أن يضع بعض الطعام – قبل السبت– على بعد ألفي ذراع من محل إقامته ، ومعلنًا أن تلك النقطة هي محل إقامته المؤقت، وبذلك كان يمكنه أن يسير مسافة ألفي ذراع أخرى ابتداء من تلك النقطة دون أن يعتبر متعديًا للوصية كما ابتكروا غير ذلك من الوسائل للتحايل على الوصية ، مثل اعتبار حدود الحي الذي يقيم فيه الشخص هو نقطة البداية، بل واعتبروا البداية أسوار المدينة نفسها متى كانت مدينة ذات أسوار ، فتحسب مسافة الألفي ذراع ابتداءً من أحد أبواب المدينة. ولعل تحديد مسافة الألفي ذراع «لسفر سبت» قام أيضًا على أساس أن حدود مسارح مدن الكهنة كانت ألفي ذراع من كل جانب (عد ٣٥: ٥).

دعوة داود بقيثارته

القديس يوحنا الذهبي الفم

أولًا من الضروري أن نوضح لماذا تم إدخال المزمور إلى حياتنا، ولماذا هذه القطع بالذات من التأليف الموحَى به تُتْلَى مع الموسيقى. لمعرفة سبب لماذا ترتل المزامير مع موسيقى، إنتبه: الله بإدراكه أن العديد من الناس عندهم لا مبالاة وغير ميّالين لمعرفة الأمور الروحية، وليس عندهم قابلية على تحمل الجهد اللازم لذلك، أراد أن يجعل الجهد أكثر جاذبية وأن يقلل من مقدار الإحساس بالجهد، لذلك أدمج التأليف الموحَى به بالموسيقى حتى يتشجع كل إنسان من خلال إيقاع النغم، ويقدم التراتيل المقدسة له بحماس عظيم. في الحقيقة، لا شيء يرفع الروح هكذا ويعطيها أجنحة ويحررها من الأرض، ويطلق قيود الجسم، ويرقي فضائلها وإزدرائها بكل شيء في هذا العالم مثل الموسيقى المنسجمة والأغنية الإلهية المؤلفة بشكل إيقاعي. إن طبيعتنا تشعر برضى ومسرة وآرتياح شديد بالأغاني والألحان، بل حتى الأطفال الرُّضَعُ الذين يبكون عند الثدي يخضعون للنوم بهذه الطريقة.

وبما أن أرواحنا تميل بشكل طبيعي لهذا الشكل من المتعة، زودنا الله بالمزامير لكي يمنع الشياطين من تقديم الأغاني الفاسقة وكل شيء مزعج، فتكون النتيجة فيها منفعة لنا وأيضًا متعة. **من خلال الأغاني الدنيوية، يتم إدخال أذى وضرر وعواقب مريعة كثيرة**، إذ أن أكثر الأغاني تطرفًا وجموحًا للأهواء تسكن وتعشش في أجزاء الروح، وتجعلها أضعف ومتقاعسة أكثر. خلافًا لذلك، نجد المزامير بكونها روحية نحصل منها على منفعة عظيمة وفائدة كبيرة وتقديس كثير، ونؤسس قواعد لكل فضيلة، إذ أن الكلمات **تنقي النفس، والروح القدس يهبط على النفس** التي تغني مثل هذه الكلمات.

في الحقيقة، للبرهان على أن الذين يغنون بفهم يستحضرون نعمة الروح، لنسمع ما يقوله بولس: «لاَ تَسْكَرُوا بِالْخَمْرِ الَّذِي فِيهِ الْخَلاَعَةُ، بَلِ امْتَلِئُوا بِالرُّوحِ» (أف ٥)، ثم آستمر بعد ذلك ليذكر أيضًا طريقة هذا الامتلاء: «بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيَّ رُوحِيَّةٍ، مُتَرَنِّمِينَ وَمُرَتِّلِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ». ماذا يعني بقوله: «فِي قُلُوبِكُمْ»؟ يعني الترتيل بفهم، خشية أنه بينما يلفظ الفم الكلمات يتجول العقل بعيدًا في كل الاتجاهات، فيجب أن تستمع النفس إلى اللسان.

تمامًا كما أن الخنزير يتجه نحو المكان الذي فيه الطين، وكما أن النحل يقيم في الأماكن التي فيها الروائح والعطور، هكذا أيضًا حيثما تكون هناك **أغاني فاسقة تتجمع الشياطين**، لكن حيثما يكون هناك **أنغام روحية تحضر نعمة الروح القدس وتقدس الفم والنفس**. أقول لكم هذا ليس فقط لكي تغنوا بالتمجيد، بل أيضًا لكي تعلّموا اولادكم وزوجاتكم أن يغنوا مثل هذه الأغاني، ليس فقط أثناء نسجهم على النول، بل أيضًا أثناء أعمالهم الأخرى، وخصوصًا على المائدة. بما أن **الشيطان بشكل عام يكمن في الحفلات التي فيها السكر والشراهة والضحك البذيء، والنفوس غير المنضبطة كحلفائه**، يجب على المسيحي خاصة في هذا الوقت – قبل الطعام وأثنائه – أن يصون أَمْنَهُ بالمزامير، وينهض من المائدة مع زوجته وأولاده لكي يغنوا التراتيل المقدسة لله.

إذا كان **بولس** تحت تهديد الجلد الذي لا يطاق، وهو مربوط ومحجوز في السجن، آستمر في الغناء بالتراتيل لله مع **سيلا** في منتصف الليل – وقتما يأتي النوم في حلاوته لكل شخص – ولم يستسلم لضغوط المكان أو الوقت، ولم يخضع للقلق أو لاستبداد النوم، أو للمعاناة من كل هذه المشقات، أو أي شيء آخر للكف عن الغناء، فكم بالأكثر يجب علينا نحن الذين ننعم بمعنويات عالية ونتمتع بخيرات الله أن نقدم له تراتيل الشكر والحمد، حتى إذا ما حدث شيء غير متوقع لنفوسنا من الشرب والشراهة، عندما نبدأ في الغناء بالتراتيل تبتعد عنا كل الأفكار غير اللائقة والشريرة ... «لأَنَّكَ فَرَّحْتَنِي يَا رَبُّ بِصَنَائِعِكَ. بِأَعْمَالِ يَدَيْكَ أَبْتَهِجُ.» (مز ٩١).

ولتجعل الصلاة ترافق التراتيل حتى ما تقدس البيت أيضًا مع النفوس. وكما أن أولئك الذين يدعون الممثلين والراقصات والخليعات إلى حفلاتهم، يدعون **الشياطين أيضًا ويملئون بيوتهم الخاصة بأعداء كثيرة** – فهم مصدر **للغيرة والزنا ولانتهاكات أخرى كثيرة**، هكذا أيضًا أولئك الذين يدعون داود بقيثارته يدعون المسيح أيضًا ليدخل معه. وحيثما يكون **المسيح** لا يتجاسر **شيطان** على الدخول — بل ولا حتى على النظر. بل سيدخل بالأحرى السلام والمحبة وكل شيء حسن، كما ولو من ينبوع مُتدفِّق. أولئك الناس يُحوّلون بيوتهم إلى **مسرح** أما أنت فَحَوِّلَ بيتك إلى **كنيسة**، حيثما

تكون التسابيح والصلوات وجوقة المؤلفين المُلهَمين، والسلوك التقي للمغنيين، حقًا لا يخطئ الشخص بدعوة مثل هذا التجمع **كنيسة**.

بل حتى وإن لم تدرك قوة الكلمات، في الوقت الحاضر علّم فمك أن يقول الكلمات، إذ أن اللسان يتقدس حتى من خلال الكلمات عندما تقال بحماس. إذا شَحنا في أنفسنا هذه العادة لن نتجاوز – سواء بالإرادة الحرة أو من خلال اللامبالاة – مثل هذه الليتورجية اللطيفة، فتلزمنا العادة حتى ونحن غير راغبين على تقديم هذه العبادة الرفيعة كل يوم.

بالنسبة للموسيقى، حتى وإن كنت شخصًا مسنًا، حتى وإن كنت صغيرًا في السن، حتى وإن كنت أصّم للنغم، حتى وإن كان ينقصك كل الإيقاعات، ليست هناك أي ملامة، المطلوب هنا هو روح يقظة، وعقل متأهب، وقلب منسحق، وتفكير متين، وضمير نقي. إذا دخلت إلى جوقة الله المقدسة بهذه الصفات سوف تكون قادرًا على الوقوف بجانب داود نفسه. لا حاجة لقيثارة هنا، ولا للأوتار المشدودة، ولا لريشة العازف، ولا للمهارة، ولا لأي نوع من الآلات.

بدلًا من ذلك، إن أردت، أجعل من نفسك قيثارة بإماتة الأعضاء الجسدية، وبتحقيق إنسجامٍ عظيمٍ بين الجسد والروح، وذلك عندما لا يكون للجسد اشتياقات معارضة للروح، بل يخضع لأوامره وينقاد في طريق ثابت ورائع، وهكذا تنتج نغمًا روحيًا.

ليست هناك حاجة هنا إلى مهارة أتقنت في زمن طويل، بل هناك حاجة فقط إلى غرض نبيل، وبلمح البصر نحصل على الخبرة، لا حاجة لمكان معيَّن ولا لوقت محدد، بل في كل مكان وفي كل وقت يمكن للشخص أن يغني في ذهنه. أعني، حتى وإن ذهبت إلى السوق، حتى وإن كنت مسافرًا، حتى وإن كنت في صحبة أصدقائك، يمكنك أن توقظ روحك وتصرخ بشكل صامت. هكذا صرخ موسى وسمعه الله (خر ١٤:١٥)، حتى وإن كنت عاملًا تجلس في الورشة وتعمل بكد، يمكنك الغناء للرب. حتى وإن كنت جنديًا حاضرًا في المحكمة يمكنك فعل نفس الشيء. يمكنك حتى الغناء بدون صوت، إذ يُدَوِّي العقل بالداخل. نحن لا نغني للناس بل لله الذي يستطيع أن يسمع همسات القلب ويخترق أفكار العقل الخفية. ■

لعازر المسكين

نقرأ في الأصحاح السادس عشر من إنجيل لوقا (١٦ : ١٩–٣١) مثل الغني ولعازر المسكين، حيث نرى لعازر مطروحًا عند باب الغني «مَضْرُوبًا بِالْقُرُوحِ، وَيَشْتَهِي أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الْفُتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الْغَنِيِّ، بَلْ كَانَتِ الْكِلاَبُ تَأْتِي وَتَلْحَسُ قُرُوحَهُ.». وهي صورة للفقر المدقع ، والبؤس الشديد ، ومما يستلفت النظر بقوة ، أن الرب – في كل أمثاله – لم يذكر أسم العَلَم لشخص من شخوصه – إلّا اسم «لعازر» في هذا المثل ، ارتأى ترتليانوس والقديسون ايريناوس اسقف ليون وامبروسيوس اسقف ميلان وغريغوريوس بابا روما الملّقب بالديالوغوس وغيرهم ، أن المثل قصة واقعية ، أما القديس يوحنا الذهبي الفم والقديس كيرللس الإسكندري وثيوفيلاكتوس اسقف بلغاريا وغيرهم فقد قالوا بانها مثل.

أن الاسم لعازر – ومعناه : «الله قد أعان» – يشير إلى إيمان هذا المسكين بالله واتكاله الكامل – بصبر – عليه. فهذا الإيمان هو الذي رفع لعازر المسكين إلى حضن إبراهيم ، وليس فقره أو بؤسه. كما أن لعازر لم ينطق ، في كل القصة، مما قد يدل أيضًا على استسلامه بصبر لله . فلم تصدر منه كلمة تذمر واحدة على ظروفه القاسية، أو كلمة ذم في الرجل الغني، بل حتى بعد أن وصل إلى حضن إبراهيم ورأى الغني في موضع العذاب، لم يوجه إليه كلمة لوم أو عتاب أو تفاخر.

ويبدو أن لهذا المثل علاقة بمثل الغني الغبي (لو١٢ : ١٦–٢١) ، فمثل الغني الغبي يسدل الستار على الغني – المتكل على أمواله – عند الموت ، أما هذا المثل فيكشف الستار عن مصير مثل هذا الغني . كما أنه يقابل مَثَلَ «وكيل الظلم» (لو١٦ : ١–١٣) الذي يبين لنا كيف يمكن استخدام الثروة بذكاء لمنفعتنا، بينما مثل «الغني ولعازر» يرينا المصير الرهيب الذي يمكن أن يؤدى إليه استخدام الثروة بدون حكمة . في الترف والبذخ دون نظر للآخرين.

والدرس الواضح من هذا المثل هو أن مصيرنا الأبدي يتوقف على موقفنا هنا من نعمة الله المعلنة في **المسيح يسوع** ، وكيف أن الأوضاع في الأبدية قد تكون على العكس تمامًا مما كانت عليه في العالم.

وقد كان لهذا المثل أثره العميق في فكر الكنيسة حتى أصبح اسم «**اللعازارية» يطلق على بيوت إيواء البرص والمساكين** ، بل ظهر نظام رهباني ونصف عسكري ، باسم «**فرسان القديس لعازر**» كان من أهم واجباتهم خدمة البرص.

ولا يذكر اسم الغني في الإنجيل المقدس، وإن كان جاء في إحدى المخطوطات القبطية الصعيدية عبارة «**اسمه نينو**» (***Nenue***) بعد عبارة «كان إنسان غني» (لو١٦:١٩) . ولم تكن خطيئته هي غناه، فقد كان إبراهيم من أغنى أغنياء عصره ، ولكن كانت خطيئة هذا الغني هي عدم اهتمامه بالأمور الروحية والأبدية ، كما بدا ذلك في بذخة وترفه كما في قساوة قلبه واحتقاره للفقراء.

ويقول المغبوط أوغسطينوس. ألا يبدو أنه (الرب يسوع) كان يقرأ في «ذلك السفر»، فوجد فيه اسم الرجل المسكين، ولكنه لم يجد اسم الغني ، لأن «**ذلك السفر هو سفر الحياة**» ؟

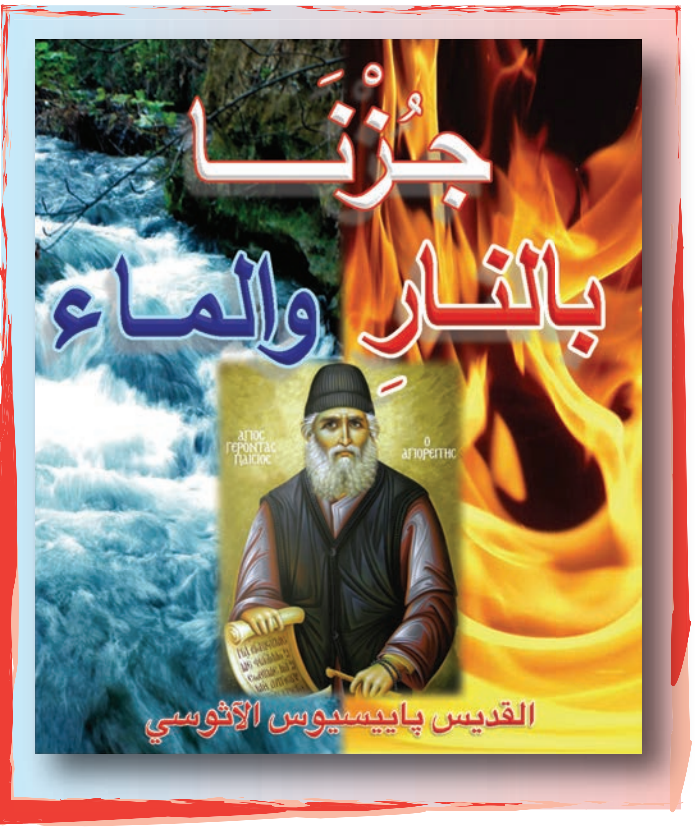

الباب الرابع

مواجهة الموت

✝ المُحتضَرون ✝

✝ يارووندا،طلَب منّا أحدهم أن نصلّي لشخص ما يُعاني من سكرات الموتِ لأيام، وعلى ما يبدو أنَّ نَفْسَهُ تأبَى مُغادرة جَسدِه .

✝ لماذا لا تُغادرُ نفسُهُ الجسد؟ هَلِ اعترَف؟

✝ كلَّا، فقد اختار ألَّا يَعترف. بكلمات أخرى، يارووندا، هل العَذَابُ في نهاية الحياة، عندَ مُغادرةِ النفسِ للجسدِ، دليلٌ علَى خَطيئةِ الإنسان؟

✝ ليسَ بالضرورة. فالرحيلُ الهادئُ للنفسِ ليسَ دَليلًا على حالةِ الإنسانِ الروحيّةِ الجيِّدة، كما أنَّ العَذاب في الأيامِ الأخيرةِ لا يُشيرُ إلى خطاياه. هُناك أشخاصٌ يُصلُّون إلى الله، بسببِ تَواضعِهِم العميق، بحرارةٍ وَلجاجةٍ، ليُعطيهم نهايةً لائقةً حتى يَبقوا مجهولين بعد موتِهم. وقد تكونُ نهايةُ أحدهم غيرَ لائقةٍ لكي يدفع دينًا بسيطًا مُترتِّبًا عليه. فعلى سبيلِ المثالِ، من المحتمل أن يكون الناس قد مدحوه أكثر ممَّا يستحقُّ، وعندها يَسمح الله بحدوث بعضِ الأمورِ الغريبة في ساعة موته لكي تقلَّ مَكانته ومنزلته بين الناس. وهناك حالاتٌ أُخرى، يسمح فيها الله بأن يُعاني البعضُ من الصعوبات لدَى رحيلِهم، لكي يدركَ من يحيط بهم في ذلك الحين مدى صعوبة الوضع في الجحيم عندما لا يستعدّون هُنا كما يجب. لكن، إذا «كانت الأوراق جاهزةً»، أي إذا كنتِ مستعدَّةً بشكلٍ جيِّد، فيُمكنكِ العبورُ مِن هذِه الحياةِ إلى الحياة الأخرى دون أن تقترب منكِ الشياطينُ على الإطلاق.

✝ يارووندا، هل يتوجَّب علينا ألَّا نقول الحقيقة لمن يوشك على الموت، أو لمن يُعاني من مرضٍ خطير؟

✝ هذا يتوقّف على نوعيّة الشخص. يَسألني أحيانًا مريضٌ مُصابٌ بالسرطان، «يارووندا، ماذا تعتقدُ، هل سأعيشُ أم سأموت؟». فلوْ أجبتُه، «سوف تموت»، فهو سيموت عندها بسبب حزنه. لكن إذا لَمْ أُجبه هكذا، فسيتشجَّع ويُواجهُ مرضه برجاءٍ ومُثابرةٍ. عندما يَنضج هذا الإنسانُ خِلالَ مرضِه، يمكنه حَملُ صليبه ومواصلة السَّير. وقد يحيا لبضع سَنواتٍ، ويقف بجانبِ عائلته بشجاعةٍ ويُجهِّز ذاته وأقرباءه للنهاية. أنا لا أخبره، بالطبع، أنَّه سيعيشُ آلاف السنين أو أنَّه لا يُعاني من شيء خطيرٍ، بل أقول له: «لا يُمكنُ مساعدتك بَشريًّا، لكن ما من أمرٍ غَير مستطاع عند الله، وطالما أنَّك مهتمٌ، حاول أن تحضِّر حالك».

✝ يارووندا، غالبًا مَا يتردَّد أفرادُ العائلة في الطلب من المُحْتضَر بتلقِّي المناولة المقدسة، بحجة عدم رغبتهم بإحزانه بحقيقة كونه شارفَ على الموت.

✝ بكلماتٍ أخرى، يُريدون أن يرحل دون أن يستفيد من نعمة المناولة المُقدّسة، حتى لا يُدرك أنه سيموتُ فيبدأ بالقلق؟ مِن الأفضل أن يقولوا له، «المناولة المقدّسةُ دواءٌ فعّالٌ يَنفعك كثيرًا. من الجيّد أن تتلقّى المناولة». وبهذه الطريقة، يتناول جسد الرب ودمه الإلهيّين، فينتفع وبنفس الوقت يُحضِّر ذاته للحياة الأخرى.

✝ يارووندا، هل توجد علاقةٌ ما بين الأشياء التي يقولها الإنسان عند رحيله وبين حالته الرّوحية؟

✝ يجبُ ألَّا نَضع استنتاجات خاصّة بنا. فمن الجائز أن يُعانيَ الإنسانُ من ألمٍ فظيعٍ في ساعة موتِهِ فيتشوَّه وجهه من الوجع، ممَّا يدفع الآخرين للتفكيرِ بأنَّه ليس بحالةٍ روحية جيّدة. لكنَّ تعبيرَ الألم يختلف من الشديد إلى المخيف. وبينما يكونُ الإنسانُ المسكينُ يقاسي الأمرَّين من الألم، يظنُّ الآخرون مُخطئين أنَّه يتصارع مع الشياطين الذين أتوا ليأخذوا روحه!

يسمح الله أحيانًا بأن تدخل النفسُ في حِوارٍ عند ساعة الموتِ، علَّ هذا الإنسان ذاتَه يتوب في اللحظة الأخيرة، أو قد يعود هذا بالنفع على الذين يَسمعون الحوار. انتبهي، لدى الله الكثيرُ من الوسائل لخلاص البشر. وقد يستخدم لهذا الغرض الملائكة في بعض الحالات، أو المحن والضيقات في حالاتٍ أُخرى، أو بعض الإشارات والعلامات.

«مُكْثِرِينَ فِي عَمَلِ الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، عَالِمِينَ أَنَّ تَعَبَكُمْ لَيْسَ بَاطِلاً فِي الرَّبِّ.» (١ كو ١٥: ٥٨)

يَا طَالِبَ ٱلْعِلْمِ بَادِرِ ٱلْوَرَعَا وَهَاجِرِ ٱلنَّوْمَ وَٱهْجُرِ ٱلشِّبَعَا
يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنْتُمُ عُشْبٌ يَحْصُدُهُ ٱلْمَوْتُ كُلَّمَا طَلَعَا
لَا يَحْصُدُ ٱلْمَرْءُ عِنْدَ فَاقَتِهِ إِلَّا ٱلَّذِي فِي حَيَاتِهِ زَرَعَا

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

سوتوس خوندروبولوس

✝ الفصل الخامس ✝

في تلك الليلة الأولى التي أمضاها في أرض ايبوس قرأ صدفة على ضوء مصباحه بعض الصفحات من كتاب «الحرب اللامنظورة» للقديس نيقوديموس الآثوسي، وهو أحد كتّابه المفضّلين. وفجأة تغيّر مزاجه، وتذكّر أن كأس الحياة الدنيا لا يمنح سوى أفراح نادرة وقصيرة الأمد. واخترق نفسه خوفٌ لا يوصف، فإن جهادًا جديدًا يبدأ. كان عليه أن يَعظ في الكاتدرائية، ولقد اختار للأحد الأول موضوع «الحياة الآتية الأبدية». وكان قد سبق له أن حرّر نصًا حول هذا الموضوع بالاستناد إلى كتابه: «كنز الحكماء والقديسين».

«لأَنَّ خِفَّةَ ضِيقَتِنَا الْوَقْتِيَّةَ تُنْشِئُ لَنَا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ثِقَلَ مَجْدٍ أَبَدِيًّا. وَنَحْنُ غَيْرُ نَاظِرِينَ إِلَى الأَشْيَاءِ الَّتِي تُرَى، بَلْ إِلَى الَّتِي لاَ تُرَى. لأَنَّ الَّتِي تُرَى وَقْتِيَّةٌ، وَأَمَّا الَّتِي لاَ تُرَى فَأَبَدِيَّةٌ.» (٢ كور ٤: ١٧-١٨).

«إِنْ كَانَ لَنَا فِي هذِهِ الْحَيَاةِ فَقَطْ رَجَاءٌ فِي الْمَسِيحِ، فَإِنَّنَا أَشْقَى جَمِيعِ النَّاسِ.» (١ كور ١٥: ١٩).

كانت هذه كلمات بولس العظيم. واستلقى نكتاريوس لينام بينما كانت تتوالى الأفكار. كانت ماثلة في ذهنه صورة الرسول الحيّة. وقد هبطت عزيمته للغاية، فقد فكّر بفخاخ العدوّ الشرير الذي يَحْبِكُ آلاف المؤامرات الخبيثة لابتلاع نفس المسيحي الأمين. وجمد في مكانه وراح يردّد دون انقطاع: «يا رب ارحم! يا رب ارحم!».

ولم يعرف النوم سبيلًا لعينيه، ولم يستطع جسده أن يسترخي رغم تعب السفر المضني. وتوالت الأفكار ... راح يفكر في الحكماء والمثقّفين ورجال العِلم في هذا البلد الصغير: كم يبتعدون عن الحقيقة! وكم يجهلون خفقات قلب الشعب الصامتة! نعم، منذ عهد **فارماكيدس**، كم اتبع الناس طُرقًا خاطئة، وكم من هذر! وكم من تقليد للغرب! إذ يُجتذب الكثيرون إلى روح النهضة الغربية، ويتذوّق آخرون الإلحاد الشوفيني الفارغ.

لم يعودوا يعلّمون الطلاب غير محبة الأشياء الزائلة: كألعاب **ديلفوس** (في العهد الروماني، كانت هذه الألعاب تجري كل أربع سنوات على غرار الألعاب الأولومبية)، واستعادة أسرار **ايلوزيس** (ايلوزيس: مرفأ في اليونان كان يشهد في العهد القديم احتفالات «بأسرار مرتبطة بعبادة الآلهة». وكان التدرّب على هذه الطقوس يؤمّن للانسان الخلاص في الحياة الأخرى)، وقطع الرخام المحطمة في المعابد الأثرية، وآلهة الماضي التي تمثّل جميع الأهواء ومجون الميثولوجيا! دون أن يشعر أحدهم للأسف بمشاعر اليونانيين القدماء، وتعلّقهم بكنز الأرثوذكسيّة، ما عدا اثنين أو ثلاثًا ممن خلفوا **كولليفاديس** (رهبان أعادوا إحياء الهدوئية في جبل آثوس في القرن الثامن عشر)، الذين كانوا قد اكتسبوا مؤخرًا مكانة في الصحافة اليونانية. آه

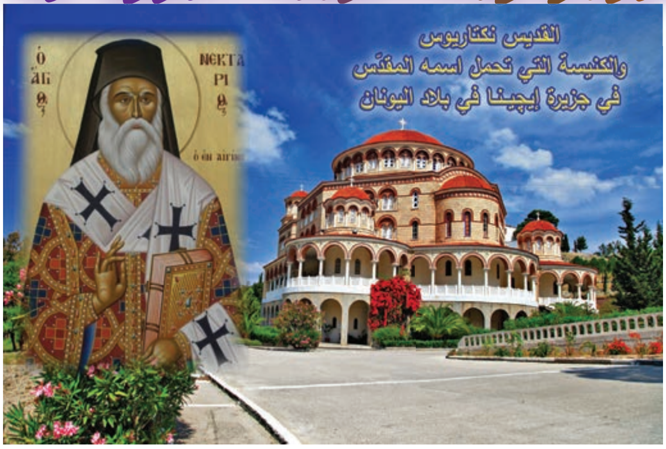

من المجد! مجد العالم! المجد الذي يمرّ ويطويه النسيان! كم بحثَ عن هذا المجد الحكماء والمثقّفون والكتّاب ذوو النفوس الضعيفة! كانوا يختارونه ويسعون وراءه ويتفانون من أجل ابتسامة واحدة منه! لا شكّ في أن عظام مرقس اوجينيكس وفريانيوس كانت تتقلب في قبريهما!

أخيرًا جاء النعاس وأشرقت الشمس على أول أحد كان عليه أن يظهر من خلاله في الكاتدرائية. منذ الليلة السابقة كان قد تحضّر جيّدًا ودرس موعظته واختار بعض أقوال الآباء، كما صام وتلا صلاته.

وقد دهش كثيرًا إذ وجد أن عدد المؤمنين قليلٌ جدًا في القداس الإلهي، رغم نشر خبر وصوله في جميع كنائس المنطقة، إلى جانب خبر تعيينه في وظيفة واعظ. واستغرب ذلك لأن هذا الشعب كان معروفًا بإيمانه المسيحي الحارّ.

ولمّا صعد إلى المنبر وجد أمامه أشخاصًا قلائل، إلّا أنّ الوجوه كانت تحمل سِمَات اللامبالاة والسخرية. ومع ذلك لم يفقد نكتاريوس برودة أعصابه، فاستدار نحو أيقونة المخلّص ورسم على وجهه إشارة الصليب ثلاث مرّات ثم بدأ بموعظته بالتهاب.

سرعة زوال الدنيا ولذّاتها لأبي العتاهية

أَلَا إِنَّمَا ٱلدُّنْيَا عَلَيْكَ حِصَارُ
يَنَالُكَ فِيهَا ذِلَّةٌ وَصَغَارُ
وَمَالَكَ فِي ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلكَدِّ رَاحَةٌ
وَلَا لَكَ فِيهَا إِنْ عَقَلْتَ قَرَارُ
وَمَا عَيْشُهَا إِلَّا لَيَالٍ قَلَائِلٌ
سِرَاعٌ وَأَيَّامٌ تَمُرُّ قِصَارُ
وَمَا زِلْتَ مَزْمُومًا تُقَادُ إِلَى ٱلبِلَى
يَسُوقُكَ لَيْلٌ، مَرَّةً، وَنَهَارُ
وَعَارِيَةٌ مَا فِي يَدَيْكَ وَإِنَّمَا
يُعَارُ لِرَدٍّ مَا طَلَبْتَ يُعَارُ

الأرثوذكسيّة (٦٨)

قانون ايمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

روح الحقّ

يُعرِّف الإنجيل الرابع الروح القدس أنّه: «روح الحق» (يو ١٤:١٧، ١٦:١٣). وللروح القدس رسالة خاصة بخصوص الحقّ:

(١) فهو يُعلِّم الحق الإلهي: «يُعلّمكم كل شيء» (يو ١٤:٢٦).

(٢) ويذكِّر بالحق: «يُذكّركم بكل ما قلته لكم» (يو ١٤:٢٦). إننا نحتاج أكثر من أي شيء آخر أن نتذكّر مرّة ومرّات ما عرفناه بخصوص الله. هذا من ضمن وظائف الروح القدس، أن يُعيد إلى الذّاكرة حق يسوع فيما يخص الخلاص هذا الذي يمكننا أن ننساه بسهولة.

(٣) كما أنّ الروح أيضًا يُعلن حقًّا جديدًا: « إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لاَ تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ» (يو ١٦:١٢-١٣). وكما تكلّم الله قديمًا بالأنبياء، وبالأهم من خلال يسوع، فإنّه سوف يستمر في الكلام والتعليم إلى نهاية الزمان من خلال الروح القدس، ولكل جيل سوف يعلن الروح القدس بوضوح **الحق** الذي يحتاجه هذا الجيل وبالشّكل الذي يحتاجه.

ولكن كيف ينقل لنا الروح القُدس حقّه اليوم؟

إنّ الكنيسة الروميّة الأرثوذكسيّة تُؤمن أنّ الكنيسة التي هي جسد المسيح هي أيضًا هيكل ومسكن الروح القُدس.

الله يعيّن الأسقف في الكنيسة ليقود ويُعلِّم القطيع الذي يُخوَّل له رعايته، والأسقف عند تكريسه ينال هبة خاصّة، من الروح القُدس ليقوم بوظيفة مُعلِّم الإيمان. ولكن الكنيسة أيضًا كشعب الله لا تتكوَّن فقط من أساقفة وكهنة وشمامسة، ولكن أيضًا من عامة الشّعب، وعامَّة الشّعب أيضًا مُكرّسون، إنَّهم أيضًا يَقبلون الروح القُدس من خلال المسحة المقدّسة، الميرون، الذي هو سر مسحة يوم الخمسين. ولذلك فمن خلال هذا السر وهذه المسحة، فإنَّ كل مؤمن، بعد المعمودية مباشرة، يَختبر «يوم خمسين» شخصي. إنَّه ينال هبة خاصَّة من الروح القُدس تُمكّنه من أن يشارك في بقيّة الأسرار، وفي قبول أو رفض قرارات المجامع المسكونية. وكما يكتب القديس يوحنا: «وَأَمَّا

أَنْتُمْ فَلَكُمْ مَسْحَةٌ مِنَ الْقُدُّوسِ وَتَعْلَمُونَ كُلَّ شَيْءٍ. لَمْ أَكْتُبْ إِلَيْكُمْ لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ الْحَقَّ، بَلْ لأَنَّكُمْ تَعْلَمُونَهُ، وَأَنَّ كُلَّ كَذِبٍ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ. مَنْ هُوَ الْكَذَّابُ، إِلاَّ الَّذِي يُنْكِرُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ؟ هذَا هُوَ ضِدُّ الْمَسِيحِ، الَّذِي يُنْكِرُ الآبَ وَالابْنَ. كُلُّ مَنْ يُنْكِرُ الابْنَ لَيْسَ لَهُ الآبُ أَيْضًا، وَمَنْ يَعْتَرِفُ بِالابْنِ فَلَهُ الآبُ أَيْضًا. أَمَّا أَنْتُمْ فَمَا سَمِعْتُمُوهُ مِنَ الْبَدْءِ فَلْيَثْبُتْ إِذًا فِيكُمْ. إِنْ ثَبَتَ فِيكُمْ مَا سَمِعْتُمُوهُ مِنَ الْبَدْءِ، فَأَنْتُمْ أَيْضًا تَثْبُتُونَ فِي الابْنِ وَفِي الآبِ. وَهذَا هُوَ الْوَعْدُ الَّذِي وَعَدَنَا هُوَ بِهِ: الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. كَتَبْتُ إِلَيْكُمْ هذَا عَنِ الَّذِينَ يُضِلُّونَكُمْ. وَأَمَّا أَنْتُمْ فَالْمَسْحَةُ الَّتِي أَخَذْتُمُوهَا مِنْهُ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَلاَ حَاجَةَ بِكُمْ إِلَى أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدٌ، بَلْ كَمَا تُعَلِّمُكُمْ هذِهِ الْمَسْحَةُ عَيْنُهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهِيَ حَق وَلَيْسَتْ كَذِبًا. كَمَا عَلَّمَتْكُمْ تَثْبُتُونَ فِيهِ.(١يو ٢:٢٠-٢٧).

وفكرة معرفة الله التي تُعطَى لجميع المؤمنين من خلال الروح القُدس سبَقَ أن تنبأ عنها **أرمياء النبي**: «بَلْ هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا. وَلاَ يُعَلِّمُونَ بَعْدُ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ، قَائِلِينَ: اعْرِفُوا الرَّبَّ، لأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ، يَقُولُ الرَّبُّ» (أرميا ٣١:٣٣-٣٤).

لذلك فإن قرارات أي مجمع مسكوني (يضُم جميع الأساقفة) يَقبلها الأرثوذكس كإعلان للحَق الإلهي الذي لا يُخطِىء، ولكن ليس بسبب حضور الأساقفة فقط، ولكن أيضًا لأن اعتراف الإيمان الذي يضعونه يُقرّه أيضًا الروح القُدس من خلال قبول عامَّة شعب الكنيسة النهائي له. إذًا هو الروح القُدس الساكن في الكنيسة كلّها، والمكوَّنة من رجال الكهنوت وعامَّة الشّعب هو الذي يقود الكنيسة إلى الحق الإلهي.

يكتب نيقولاس زرنوف:

«إنّه الروح القُدس الناطق والعامل في جسد المؤمنين كلّهم، هو المعلّم والمرشد للحق. كل مسيحي إذًا يسمع صوت الروح، ولكن لأنّ نفس الصوت يتكلَّم لباقي أعضاء نفس الجسد، لذلك فإن القرارات التي تُتَّخَذ بالإجماع والتي يمكن التوصُّل إليها من خلال الطاعة المُتَّضعة والسلام والإتّفاق والتفاهم، هذه هي التي تُعَدُّ أنّها تُعبِّر عن الإرادة الإلهيّة».

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

العظة الخامسَ عشرةَ

«... وسيأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء»

٩- علامة المسيح الدجّال:

وماذا يحدث بعد ذلك؟ يتابع يسوع: «فإذا رأيتم أشنع الخراب الذي تكلّم عنه دانيال النبي» (٩:٢٧ ؛ ١١:٣١ ؛ ١٢:١١)، «نازلًا في البت المقدس (ليفهم القارىء) ... حينئذ إن قال لكم قائل: هوذا المسيح هنا وهناك فلا تصدّقوه» (متى ٢٤:١٥ ، ٢٣). إن الكراهية بين الأخوة تمهّد السبيل للمسيح الدجّال. لأن الشيطان يبذر بذور الشقاق بين الشعوب ليحسنوا استقباله عندما يأتي. لا يذهب إلى العدو أحد من الحاضرين هنا أو من خدَّام المسيح المقيمين في مكان آخر. وفي هذا الصدد، أعطى الرسول علامةً واضحة، إذ كتب يقول: «لاَ يَخْدَعَنَّكُمْ أَحَدٌ عَلَى طَرِيقَةٍ مَا، لأَنَّهُ لاَ يَأْتِي إِنْ لَمْ يَأْتِ الارْتِدَادُ أَوَّلاً، وَيُسْتَعْلَنْ إِنْسَانُ الْخَطِيَّةِ، ابْنُ الْهَلاَكِ،الْمُقَاوِمُ وَالْمُرْتَفِعُ عَلَى كُلِّ مَا يُدْعَى إِلهًا أَوْ مَعْبُودًا، حَتَّى إِنَّهُ يَجْلِسُ فِي هَيْكَلِ اللهِ كَإِلهٍ، مُظْهِرًا نَفْسَهُ أَنَّهُ إِلهٌ. أَمَا تَذْكُرُونَ أَنِّي وَأَنَا بَعْدُ عِنْدَكُمْ، كُنْتُ أَقُولُ لَكُمْ هذَا؟ وَالآنَ تَعْلَمُونَ مَا يَحْجِزُ حَتَّى يُسْتَعْلَنَ فِي وَقْتِهِ. لأَنَّ سِرَّ الإِثْمِ الآنَ يَعْمَلُ فَقَطْ، إِلَى أَنْ يُرْفَعَ مِنَ الْوَسَطِ الَّذِي يَحْجِزُ الآنَ، وَحِينَئِذٍ سَيُسْتَعْلَنُ الأَثِيمُ، الَّذِي الرَّبُّ يُبِيدُهُ بِنَفْخَةِ فَمِهِ، وَيُبْطِلُهُ بِظُهُورِ مَجِيئِهِ. الَّذِي مَجِيئُهُ بِعَمَلِ الشَّيْطَانِ، بِكُلِّ قُوَّةٍ، وَبِآيَاتٍ وَعَجَائِبَ كَاذِبَةٍ،وَبِكُلِّ خَدِيعَةِ الإِثْمِ، فِي الْهَالِكِينَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَقْبَلُوا مَحَبَّةَ الْحَقِّ حَتَّى يَخْلُصُوا. وَلأَجْلِ هذَا سَيُرْسِلُ إِلَيْهِمُ اللهُ عَمَلَ الضَّلاَلِ، حَتَّى يُصَدِّقُوا الْكَذِبَ، لِكَيْ يُدَانَ جَمِيعُ الَّذِينَ لَمْ يُصَدِّقُوا الْحَقَّ، بَلْ سُرُّوا بِالإِثْمِ.» (٢تسا٢:٣-١٢). هذه الأقوال من بولس الرسول. إن الارتداد عن الدين منتشر الآن، إذ أنّ هناك أناسًا كثيرين قد ارتدّوا عن الإيمان القويم. فالبعض يعلّم أن الابن هو نفسه الآب، والبعض الآخر يجسر فيقول أن المسيح خُلِقَ من العدم. من قبل كان الهراطقة ظاهرين، أما اليوم فالكنيسة ملأى بالهراطقة المستترين، إذ تخلّى الناس عن الحق وصمّوا آذانهم (٢تيمو ٤:٣-٥). إن كانت هنا عظة دوغماطية، فالجميع يستمعون عن طيبة خاطر، وان كانت أخلاقية، إصلاحية، فالجميع ينصرفون عنها. لقد ابتعد السواد الأعظم عن كلمات الحق، واختاروا الشرّ بدلًا من الخير. هذا هو الارتداد عن الدين. وفي غضون ذلك، يجب أن نستعدّ للعدوّ، فقد بدأ يبعث بعض رُسله ليكون على استعداد لمطاردة الفريسة. فانتبه أنت وضع نفسك في أمان. فتناشدك الكنيسة الآن «بحضور الله الحيّ» (١تيمو٦:١٣) وتحدّثك أولًا عما يخصّ المسيح الكذّاب قبل أن يأتي. هل هو سيأتي في أيامك أو بعدك؟ هذا ما لا نعرفه. على أنه الأفضل لك، وأنت على بيّنة، أن تكون على حذر.

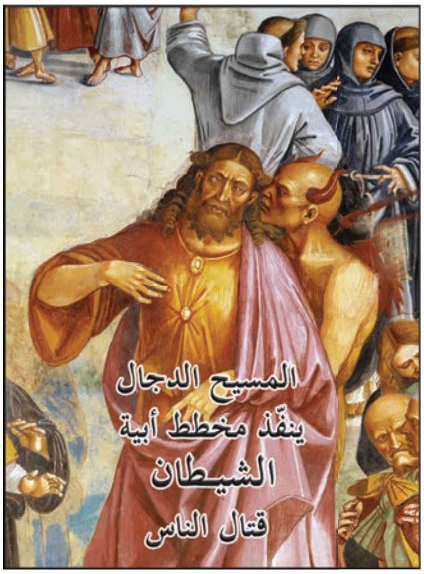

١٠- المسيح يأتي بغتة من السماء:

إن المسيح الحق، ابن الله الوحيد، لم يعد يأتي من الأرض. إن جاء أحد في البراري يخدع الناس بالأعاجيب، فلا تخرج. «حِينَئِذٍ إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ: هُوَذَا الْمَسِيحُ هُنَا! أَوْ: هُنَاكَ! فَلاَ تُصَدِّقُوا.» (متى ٢٤:٢٣). لا تنظر إلى أسفل نحو الأرض، لأنه من السماء يأتي الرب. ولن يأتي وحده كما فعل من قبل، بل سيأتي مُحاطًا بربوات من الملائكة. ولا بطريقة مستترة «كالمطر على الجزّة» (مز ٧١:٦). بل لامعًا كالبرق. ويقول هو نفسه: «لأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ الْمَشَارِقِ وَيَظْهَرُ إِلَى الْمَغَارِبِ، هكَذَا يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ابْنِ الإِنْسَانِ.لأَنَّهُ حَيْثُمَا تَكُنِ الْجُثَّةُ، فَهُنَاكَ تَجْتَمِعُ النُّسُورُ.«وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ الأَيَّامِ تُظْلِمُ الشَّمْسُ، وَالْقَمَرُ لاَ يُعْطِي ضَوْءَهُ، وَالنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ السَّمَاءِ، وَقُوَّاتُ السَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلاَمَةُ ابْنِ الإِنْسَانِ فِي السَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ، وَيُبْصِرُونَ ابْنَ الإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. فَيُرْسِلُ مَلاَئِكَتَهُ بِبُوقٍ عَظِيمِ الصَّوْتِ، فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ الأَرْبَعِ الرِّيَاحِ، مِنْ أَقْصَاءِ السَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا.» (متى ٢٤:٢٧-٣١).

١١- المجيىء الثاني تسبقه علامات كاذبة:

ولكن كما أنه كان يجب من قبل أن يصبح إنسانًا، وكان منتظرًا أن يولد إله من عذراء، فقد هاجم الشيطان عملية الخلاص مختلقًا عن سوء نيّة قِصَصًا عن آلهة كاذبة تلد وتولد من نساء، كما الحال في الميتولوجية، لكيما **بإذاعة الأكاذيب** لا يُصَدّق الحق. وهكذا عند المجيء الثاني للمسيح الحق، يستغلّ العدوّ فرصة انتظار البسطاء، وخاصة الذين من أهل الختان، فيأتي برجلٍ ساحرٍ خبير في أعمال السحر والعرافة، يستولي على مصلحته على سلطة الامبراطورية الرومانية، (يسيطر على العالم) ويدّعي كَذبًا أنه المسيح. وتحت هذه التسمية يخدع اليهود الذين ينتظرون المسيح، ويغوي الأمم بأضاليله السحرية.